❁ علم الكلام الأساس والتأسيس-مقاربة متحيزة

أ.د. شافية صدّيق

أستاذة الفكر الإسلامي والأديان

كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر1

مقاربة أية إشكالية لها علاقة بتاريخ علم الكلام أو مساره أومباحثه يستدعي الملاحظات التالية:

1- الإدانة الأخلاقية أو الدينية إذا كان هدفها التكفير هي تعدي على خصوصيات خالق الكون الذي وحده يعلم السرائر وما تخفي الأنفس.

2- الذي لا يريد الكثير البحث فيه هو السؤال المركزي والخطير هل الاعتقاد على المذهب الأشعري أو الماتريدي أو الوهابي (وليس السلفي بمعناه الاصيل) أو المعتزلي هو فعلا حاضر بجميع تركيباته وتصنيفاته ومصطلحاته في ذهن وقلب المنتسبين نظريا إليه حسب خريطة اعتقاديه صنعت في أجواء يغلب عليها الاستغلال السياسي للدين وطغيان المزاج على العقل والهروب من أزمة الواقع.هروب منه من أجل إشكالات هي أقرب إلى عالم لا يملك الحق في التقرب إليه إلا الله. فهل يحق للبشر توزيع شهادات حسن العقيدة التي تتحول إلى صكوك لدخول الجنة أو فرمانات تحكم على البشر أنهم خالدون في النار وبعض هذه الأحكام مبنية على الحكم على سلوك خارجي(مرتكب الكبيرة التي قد تكون الكذب البسيط أو القتل الجماعي) يقيم ليس في مجاله البشري والمدني باعتبار المقولة المنسوبة للخليفة عثمان رضي الله عنه أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن:لماذا لم يكتفوا بالحكم الفقهي القانوني فيما هو في صلاحياتهم ونحن نقرأ أن الرسول ﷺعندما أقام حد الزنا على المعترفة بجريمتها رفض أن يتبع الحكم الدنيوي عليها حكما يتجرأ على الله فيما سيفعله بها يوم الحساب فقد

جاء في باب الحدود في سنن أبي داوود الحديث رقم 4442 عن المرأة التي أقيم عليها حد الزنا بعد اعترافها :

..... فَرُجِمَتْ ثُمَّ أَمَرَهُمْ فَصَلَّوْا عَلَيْهَا فَقَالَ عُمَر يَا رَسُولَ اللَّهِ تُصَلِّي عَلَيْهَا وَقَدْ زَنَتْ قَالَ " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَة لَوْ قُسِّمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ.

لماذا لم يفهم من الحديث أن أي سلوك بشري خاطئا كان أو صحيحا إذا اقتضى تقييما وعقابا أو مكافأة فمجال تدخل البشر واضح بإقامة الحجة وتطبيق القانون وعدم شغل العقل بما لم يخلق له ويدخل في الغيبيات التي يختص به الخالق وحده كمباحث الخلود في النار أو العذاب المؤقت فيها وأسئلة عما يجب على الله وعما يفعله أو لا يفعله .

الإشكال يمتد إلى الإشارة الضرورية إلى أن غربة المسلم عن التراث الكلامي في مرحلته الأولى أو مرحلته الفلسفية يكاد يستوي فيه الأميون الذين يجهلون فك الحروف أو المتعلمون الذين لا يرون ضرورة لشحن عقائدهم بأجوبة عن أسئلة لم تخطر ببالهم وان خطرت فلم تكن بالإلحاح الذي يدفع إلى الاعتكاف على كتب فيها جهد عميق للوصول إلى إجابات يريد أصحابها أن تكون ملزمة للعقل ولكن حوصلتها نتائج "باهرة" دليل على الطاقة المبذولة فيه وباهرة من حيث القدرة العجيبة على النقض والنقد والتكفير داخل هذا العالم، والذي يمتد بين سطور تلك الكتب بطريقة منسابة من غير عوائق ليجد الباحث على الانتظام وفق ما اختير له من نموذج اعتقادي في أزمنة بعيده، نفسه وسط أمواج متلاطمة.

3- المتخصصون قد يكتفون بالبحث الداخلي البنيوي للنصوص الكلامية فيبحثون عن بنائها المنطقي ونسقها الفلسفي وربما ديناميكية مصطلحاتها والمقارنة بين

شبيهاتها ولكن إذا كان الباحث مسلما فإنه يتعامل مع انساق عقدية يفترض انه ليكون مسلما لابد أن يكون منتسبا لأحدها. وإذا كان هذا عائق أمام الباحث لأنه يتحول إلى طرف في مسألة التحليل والترجيح فانه يمكن أن يستفاد من هذا إذا اعتبرنا أن الباحث المسلم يتحول إلى عينة بحثية لقياس علاقة تلك الأنساق مع الأفراد المسلمين الذين هو واحد منهم وهو أيضا عينة بمواصفات مثالية باعتبار انه خارج قسم المضطرين للتقليد في الأمور العقدية أو المسموح لهم بعدم السؤال و البحث عن الأدلة في القضايا الأساسية التي تشكل أعمدة الأنساق العقدية. ويكاد الأمر يشبه من يجرب الأدوية على نفسه باعتبار كبار علماء الكلام يقولون أن علم الكلام هو بمثابة الدواء.

الكتب الأساسية المعروفة لعلم الكلام متوفرة اليوم بل الباحث الحقيقي يستطيع الاطلاع على المخطوطات المصورة وهي تتربع على رفوف المكتبات الالكترونية من غير عناء السفر إلى مناطق غير آمنة أو النزول إلى مخازن تراكمت فيها ظواهر قاتلة أو الوقوع في يد قراصنة المخطوطات المتاجرين بها. ولكن هذا العرض لما توفر من التراث و ليس كل التراث(يقول البعض أن التراث المتداول و المعروف لا يتعدى 5 في المائة من الإنتاج الحقيقي للمسلمين) يصطدم أيضا بإشكالات منهجية :

مما يفتقده الباحث المعاصر في حقل علم الكلام دليل للدراسات الكلامية يحصي الكتابات القديمة والحديثة المتعلقة به مرتبة بحسب الموضوعات والأزمنة و المدارس ومعجم مصطلحي عام يحيط بالمصطلحات الكلامية المستعملة[1].

الملاحظة السابقة يمكن إرفاقها بأن هناك مراكز بحثية مستقلة ومواقع متطوعة تحاول سد هذه الثغرة. ولكن هناك إشكال أخر:

ضياع أغلب الكتابات الكلامية المبكرة وكثير من الكتابات المتأخرة لا فرق في ذلك بين مصنفات ذوي الشأن في العلم و مصنفات الأقل شأنا وتعرض الأفكار

الكلامية باستمرار للتحريف و التشويه من قبل الخصوم ونسبة مقالات إلى فرق و أشخاص لم يقولوا بها بالكيفية التي تنسب إليهم[2].

ومثلما حدث في حقول معرفية أخرى يلاحظ أيضا :

اختلاق أحاديث نبوية و شهادات و مأثورات تزكي البعض وتدين البعض الآخر[3].

النصوص المتوفرة اليوم وبعد معاينة المتخصصين ومقارنتها ببعضها تبين أن:

الخلط والاضطراب أحيانا حتى في ما يورده الأتباع من آراء شيوخ فرقتهم المتقدمين[4].

يضاف إلى ما ذكر سابقا أن عملية الطعن المتبادل بين الفرق الكلامية اعتمدت في بعض الأحيان على المنشقين من الفرق فاعتمد في نقض أفكار المعتزلة على الأشعري الإمام المعتزلي الكبير سابقا و قدم ابن الرويندي المعتزلي السابق أيضا في كتابه عن فضيحة المعتزلة المادة التي استثمرها الخصوم بعيدا عن النصوص الأصلية والأشعري ينسب إلى المنشقين عن الفرق بعض ركائز نقضه لأراء مخالفيه.

تعاريف:

حدد العلماء مناهج الاستدلال على العقائد من المنظور الكلامي:

1- طريقة البرهان الكلامي المتكلم يبدأ من أقوال الخصم .

2- تأويل النصوص التي لا تتفق مع ما يريد لكي يثبت أقواله .

3- التفويض التسليم لأمور الشرع والإقرار على عجز العقل عن الوصول للحقيقة.[5]

الملاحظ أن استخدام أدوات التفكير العقلي هي الأساس ألم يقل الحكماء أن العقل هو الرسول الداخلي؟؟

إن تعريف علم الكلام يختلف في بعض أجزائه من باحث إلى آخر بناء على الخلفية التي ينطلق منها صاحب التعريف خصوصا إذا كان جزءا من هذا المجال المعرفي

و يختلف التعريف أيضا حسب المرحلة التي يعرف فيها هل ذلك في مرحلته الأولى أو في المرحلة التي اختلطت فيها مباحثه بخصوصيات المنطق الأرسطي والمباحث الفلسفية أو في المرحلة التي اشتد فيها تطاول غير المسلمين على الإسلام وأحيانا يكون المتطاولون من كبار المقربين والعاملين مع الحاكم المسلم أوفي مرحلة سيطرة الحواشي و شروحها ونظمها. ..

الطريق الأكثر أمنا للتوغل في التراث الكلامي هو بداية الرحلة من المتخصصين المعاصرين الذين اطلعوا على التراث الكلامي في جميع مراحله.

يعرف علي سامي النشار علم الكلام بأنه علم التوحيد أو علم الكلام أو علم أصول الدين هو علم الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ويسمى أصحابه بالمتكلمين أو متكلمي الإسلام [6].

مقدمة ابن خلدون الفصل العاشر من مقدمته:

علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية و الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف و أهل السنة. وسرد هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد[7].

أبو حامد الغزالي في الاقتصاد في الاعتقاد:

ومقصود هذا العلم إقامة البرهان على وجود الله سبحانه وصفاته وأفعاله وصدق الرسل وكل ذلك مهم لا غنى عنه لأي عاقل .[8]

لا يختلف اثنان أن الأمور المذكورة مهمة ولكن تحويلها إلى مجال البراهين لا يعني أنها فعلا ستطفئ ظمأ المتعطش خصوصا مع الاعتراف باختلاف طرق وأساليب التلقي عند البشر فقد لاحظ الدكتور احمد شلبي في دراسته لمعتقدات الهندوس .كيف يتحول المتعلم في أرقى الجامعات العالمية و الموفق في عمله في اعقد المصانع المتطورة إلى ساجد خاشع أمام صنم هندوسي في بيته يقدم له أغلى ما عنده كقرابين [9].

يرى أبو حامد الغزالي أن التعريف يجب ربطه بالوظيفة التي يضطلع بها العلم:

إن الاشتغال بهذا العلم ..من فروض الكفايات لأنه لا يجب علو كافة الخلق إلا التصديق و تطهير القلب عن الريب و الشك بالبرهان وهو فرض عين في حق من اعتراه الشك لإزالته إن إزالة الشكوك في أصول العقائد واجبة و الشك غير مستحيل وأن كان لا يقع إلا في الأقل والدعوة بالبرهان مهمة في الدين وقد يثور مبتدع ويتصدى لإغواء أهل الحق بإفاضة الشبهة فيهم فلابد ممن يقاوم ويعارض إغواءه بالتقبيح ولا يمكن ذلك إلا بهذا العلم [10].

النزعة الدفاعية هذه ليست خاصية لعلم الكلام في جميع مراحله وليست حياة الغزالي الفكرية أيضا على خط واحد فمباحث علم الكلام لم تنته كما بدأت والغزالي لم ينه حياته كما بدأها أيضا.

يعرفه عضد الدين الإيجي:

علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية وإبراز الحجج ودفع الشبه والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد فان الخصم وإن اخطاناه لا نخرجه من علماء الكلام .[11]

المتأمل لهذه الصيغ قد يخالجه شعور بان تلك العقائد قدمت في الأصل بطريقة غير متماسكة أو غير قوية وهذا خطأ لا يحتاج المرء لا قراره إلا إلى إيمانه الأصلي بوضوح ملاحظاته. وإنما الذي ينطبق عليه التعريف فعلا هو مثلا العقائد المسيحية التي اضطر علماء الدين فيها إلى البحث عن تسويعات لتناقضاتها الصارخة التي لم تفلح معها نصيحة "اعتقد ولا تنتقد" فالمسلم ليس أمامه اله مصلوب عجز عن حماية نفسه وليس أمامه عقيدة تقول له أن الإله الأب بعث بابنه الوحيد ليموت تكفيرا عن ذنب ادم وأنه كان يجب أن تكون الموت بطريقة بشعة لم تثر شفقة الإله الأب.

أما الشهرستاني فيعرفه وفق منظوره الكلامي:

وبالجملة: كل مسألة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهي من الأصول.ومن المعلوم أن الدين إذا كان منقسماً إلى معرفة وطاعة والمعرفة أصل والطاعة فرع فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصولياً ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعياً. فالأصول: هو موضوع علم الكلام والفروع: هو موضوع علم الفقه.وقال بعض العقلاء: كل ما هو معقول ويتوصل إليه بالنظر والاستدلال فهو من الأصول وكل ما هو مظنون ويتوصل إليه بالقياس والاجتهاد فهو من الفروع[12]

يلاحظ الطابع التقني لتعريف الشهرستاني و التركيب الدال على أن صاحبه جزء من منظومة إنتاج "المادة" الكلامية .

وجاء في كتاب شرح العقائد النسفية:

اعلم أن الأحكام الشرعية منها ما يتعلق بكيفية العمل وتسمى فرعية و عملية ومنها ما يتعلق بالاعتقاد وتسمى أصلية واعتقاديه .العلم المتعلق بالأولى يسمى علم الشرائع و الأحكام لما أنها لا تستفاد إلا من جهة الشرع ولا يسبق الفهم عند انطلاق الأحكام إلا إليها وبالثانية علم التوحيد والصفات لما أن ذلك أشهر مباحثه واشرف مقاصده [13].

لا يخفى على الملاحظ النزعة التبريرية دون أن ينفي ذلك وجود روح علمية دقيقة و عالية.

ارتبط أيضا تعريف علم الكلام بهالة واضحة.لقد لاحظ بعض الدارسين مثلا أن توصيف علم الكلام بأشرف علم كان من أجل إجلاله وحمايته وإن كان المسلمون من بداية نشأة علم الكلام في حل من أي رابط إجباري به يقول التفتازاني مثلا :

علم الكلام هو اشرف العلوم لكونه اساس الأحكام الشرعية ورئيس العلوم الدينية وكون معلوماته العقائد الإسلامية وغايته الفوز بالسعادات الدينية والدنيوية وبراهينه الحجج القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية[14].

يقول محمد بوهلال:

معيارهم (علماء الكلام) في تحديد درجة شرف العلم هو الوجود الخارجي لموضوعه و ليس لغة العلم أو منهجه أو نتائجه و بناء على هذا المعيار يكون الفرق بين العلم بالله و العلم بالإنسان كالفرق بين الله والإنسان [15].

هناك تعاريف أخرى تحمل نزعة دفاعية عالية وأخرى تكاد تكون هجومية على المعترضين وكل هذا يدخل في ملاحظة تنبيه وضع التعريف في سياقه التاريخي والمعرفي من حيث مكانة علم الكلام وعلمائه ومن حيث المرحلة في مسار تطوره العام.

النشأة: الله والسلطان:

يلاحظ الباحث في التراث الإسلامي أن مقاربة علم اجتماع المعرفة لا تستهو أغلب الباحثين (باستثناء بعض تجارب المقاربة الماركسية) رغم أن البحث الموضوعي لا يمكن الاستغناء فيه عن دراسة وتحليل الظروف الموضوعية وأثرها في نشأة وتطور أي علم خصوصا العلوم الإنسانية والمرتبطة بالإنسان ارتباط عضوي كعلوم الأديان .

رغم أن الدافع العقدي و العلمي لا يمكن اهماله في نشأة و تطور وتقهقر علم الكلام إلا أن هناك عامل يبدو انه الأكثر تأثيرا في إخراج علم الكلام من الدوائر الضيقة للعلماء إلى ساحة العامة.

كما أن الظروف الذاتية لا يمكن الاستغناء عنها كخلفية لتحليل مسارات العلوم كلها كتطور علم الفضاء بأمريكا ردا على خطوة الروس مع غاغارين وقصة العالم باستور مع ابنه وانتفاضة الأشعري على تراث زوج أمه المعتزلي أبي علي الجبائي الذي

واجه أيضا تمردا داخليا من ابنه من صلبه أبي هاشم الجبائي وتذكر المصادر أن والد الأشعري كان من المحدثين وقد أوصى به عند وفاته إلى احد أئمة الحديث والفقه.

الباحث الموضوعي كما يبين العارفون يتسلح بكل المعطيات التي تؤمن له الخلفية المتعددة الأذرع للتحليل الموضوعي.

يقول الشهرستاني:

ولكل فرقة مقالة على حيالها و كتب صنفوها ودولة عاونتهم وصولة طاوعتهم[16].

لا يخف على دارس التاريخ كما هو منشور في كتب تاريخ الأمم والملوك دور المأمون في تشجيع المعتزلة ودور المتوكل في نصرة أعداء المعتزلة ودور المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية بعد سقوط الدولة المرابطية (يقال أنه تتلمذ على أبي حامد الغزالي) في نشر المذهب الأشعري في شمال إفريقيا وأيضا دور الوزير نظام الملك في تبني الدولة السلجوقية للمذهب الأشعري وتأسيس أكبر المدارس الإسلامية آنذاك مدرسة بغداد النظامية ومدرسة نيسابور النظامية أيضا على نفس المذهب.وتحولت جامعة الازهر التي بناها الفاطميون الشيعة إلى المذهب الأشعري بتدخل الحاكم وهو صلاح الدين الأيوبي .

وتنقل بعض الكتب طرقا دموية أحيانا في إجبار الناس على مذهب الدولة الجديد و طرقا غريبة في امتحان عقائد الناس من العلماء كما حدث من امتحان المعتزلة للمحدثين أو بامتحان الونشريسي للعامة تحت عين ابن تومرت.

هذا لا يعني إغفال أي جانب ايجابي فقد سئل ابن تيمية عن أسباب انتشار المذهب الأشعري رغم ما فيه من هنات وعليه من ملاحظات ولماذا تبناه جمهرة من علماء من أهل الفقه و الحديث فأجاب :

أحدهما: كثرة الحق الذي يقولونه، وظهور الإثارة النبوية عندهم.

الثاني: لبسهم ذلك بمقاييس عقلية، بعضها موروث عن الصابئة،وبعضها مما ابتدع في الإسلام، واستيلاء ما في ذلك من الشبهات عليهم، وظنهم أنه لم يمكن التمسك بالإثارة النبوية من أهل العقل والعلم إلا على هذا الوجه. (17)

قراءة نقد و فتاوي ابن تيمية للاشاعرة الذين يميزهم عن غيرهم من علماء الكلام ويكاد ينسبهم إلى أهل السنة من غير تحفظات يجب أن تكون قراءة سياقية تأخذ بعين الاعتبار الأزمات الذاتية والموضوعية التي تعترض الفرق المتنافسة على عرش الشرعية الدينية و أهواء وأمزجة و اختيارات القائمين على الحكم.

في اللغة العلمية اليوم لكل بحث أوتأليف إشكالية تحركه لا يعيب البحث أن يكون من أسباب الشروع فيه دوافع ذاتية و طبعا الحاحات موضوعية و إذا أردنا أن نبحث عن مؤشرات لذلك فان الصفحات الأولى باهداءا تها قد تجيب نسبيا عن هذا السؤال:

جاء في كتاب :"أساس التقديس" للرازيفاني وإن كنت ساكنا في أقاصي بلاد المشرق إلا أني لما سمعت أهلا المشرق و المغرب مطبقين متفقين على أن السلطان المعظم العالم العادل المجاهد سيف الدنيا و الدين ... أفضل سلاطين الحق و اليقين... لازالت آيات راياته في تقوية الدين الحق... متصاعدة إلى عنان السماء... اثار أنوار قدرته ومكنته باقية بحسب تعاقب الصباح والمساء... أكمل السلاطين.... أردت أن أتحفه بتحفة سنية وهدية مرضية فأتحفته بهذا الكتاب... (18)

الباحث عن تفكيك موضوعي للمفردات عليه هنا البحث في الظروف السياسية آنذاك في الخلاف بين الطامعين في الحكم وفي قواعد تحقيق الأمان الجسدي والمالي في تلك الأزمنة وخصوصا في محيط السلطة.

تقول بعض المصادر التاريخية العامة أن هذا السلطان (الذي أهدى الرازي له كتابه وعظمه بتلك المفردات)قسم مملكته بين أبنائه وقبل أن يتسلم الحكم كلف

بإطفاء نيران فتنة سياسية اجتماعية بإحدى المدن فقام بالقضاء عليها وقتل نحو ثلاثة آلاف وصلبهم على شجرها بعمائمهم وطيالستهم[19].

ونجد في مقدمة تحقيق كتاب الرازي :"اعتقادات فرق المسلمين" مايبين فلسفة الرازي في التعامل مع قواعد تحقيق الأمان :

وفي شذرات الذهب انه سار إلى شهاب الدين الغوري سلطان غزنة فحصلت له من أموال طائلة ثم اتصل بالسلطان خوازم شاه محمود وحظي عنده وبنى وزيره بابنة فخر الدين واستقر الإمام بخراسان[20].

الكتاب ألفه الرازي من اجل الرد على ابن خزيمة الذي يكفره بعد رد كل أحاديثه والاستعانة في الرد عليه بتراث أبي حامد الغزالي وغيره ولكن المدرسة التي يتنمي إليها ابن خزيمة سترد عليه فابن تيمية الذي كان تلميذا للرازي في إحدى مراحل تكوينه العلمي سينتصر لابن خزيمة بعد وفاة الرازي و يؤلف:" نقض أساس التقديس"والغريب أن هذا الجدال سيستمر،والردود المتبادلة والبحث في تجسيم الخالق وتوصيفه والحيرة في البحث له عن حيز وزمان أيضا. وللتأكد من ضياع الموضوع في أحيان كثيرة لصالح الانتصار للرأي يقول محقق كتاب: تأسيس ..للرازي:

وأقول لطلاب العلم من أراد منكم أن يفهم كتب الإمام الرازي بسهولة ويسر فليقرأ كتب ابن تيمية لأنه يأتي بالضد لكثير من آراء الإمام ومن أراد منكم أن يفهم آراء ابن تيمية بسهولة ويسر فليقرا كتب الإمام فخر الدين[21].

وفي كتاب:" إلجام العوام عن علم الكلام " لأبي حامد الغزالي مقارنة غريبة وصادمة بين سلطان الله وسلطان الحاكم السياسي:

الكل من الحضرة الإلهية كما أن جميع أرباب الولايات في المعسكر حتى الحراس هم من المعسكر فهم من جملة الحضرة السلطانية وأنت لا تفهم الحضرة الإلهية إلا بالتمثيل إلى الحضرة السلطانية .....كما أن السلطان له مملكته قصر خاص و في فناء

قصره ميدان واسع و لذلك الميدان عتبة يجتمع عليها جميع الرعايا و لا يمكنون من مجاوزة العتبة ودخول الميدان و الجلوس فيه على تفاوت في القرب و البعد بحسب مناصبهم و ربما لم يطرق إلى القصر الخاص إلا الوزير وحده ثم أن الملك يطلع الوزير من أسرار ملكه على ما يريد و يستأثر عنه بأمور لا يطلعه عليها فكذلك فافهم على هذا المثال تفاوت الخلق في القرب والبعد من الحضرة الإلهية فالعتبة التي هي أخر الميدان موقف جميع العوام ولا سبيل لهم إلى مجاوزتها فان جاوزوا احدهم استوجبوا الزجر و التنكيل أما العارفون فقد جاوزوا العتبة و انسرحوا في الميدان ...وأما حظيرة القدس في صدر الميدان فهي أعلى من أن يطأها أقدام العارفين[22].

تحليل هذه الكلمات قد يبدأ بالبحث عن تاريخ هذا الحاكم الفريد وربما نصدم لمعرفة طريقة حكمه و الذي يهمنا في تحليل هذه العينة هي المفردات المطلقة التي جاء علم الكلام لتثبيتها لله الخالق بمعنى أن علم الكلام أنشأ كما يقول أصحابه خطا دفاعيا عن مكانة الخالق ومن مبالغتهم في ذلك ينفر الكثير من قراء ذلك التراث من جرعة استحضار مفردات تزعزع رسوخ العقيدة الفطرية كما خلقها الباري، لكن ما يزلزل هذه الفطرة و يستفزها هو استخدام معجم ألفاظ التكبير و الإجلال لسلاطين بشر يقومون بنفس السلوكات البيولوجية للكائنات المخلوقة وإذا كنا نقرأ في تراث الجدال الديني عن استخفاف المسلمين بعقول المسيحيين عندما وصفوا عيسى النبي الإنسان بصفات الإلوهية وراحوا يشتمون المسيحيين في إلههم لأنه يأكل الطعام و يتخلص منه بألفاظ مقززة ألا يحق لهؤلاء ولنا نحن أن "نسخر " بل أن نحتج على تأليه بشر هم أقل شأنا من الأنبياء ولهم من الذنوب ما قد يحجب عنهم صفة الإنسانية كما ينقل عن فظائع بعضهم المؤرخون ؟؟؟؟

وبعد هذه العملية النفسية في الإعلاء من قيمة السلطان وتكبير الفجوة بين الحاكم والبشر وتبرير تصرفاته بطريقة ترهيبية استخدم فيها مقام الجلالة و بعد كل ما قد يحدث للقارىء أو السامع من إرباك يصل أبو حامد الغزالي إلى النتيجة التالية:

الفطرة الصحيحة الأصلية معدة لقبول الإيمان دون المجادلة له وتحرير حقائق الأدلة[23].

المحصلة أن الغزالي يعترف بأن البرنامج العقدي للإنسان معد لتقبل الأمور العقدية بوضوح وبساطة أوليتين ولكن جهده في إثبات شبه ألوهية الحاكم هو الانجاز الذي لم يتراجع عنه أو يترل الأمور إلى نتيجتها الطبيعية وهي أن الحاكم المسلم مسؤول عن عثرة الشاة في بغداد و للتعمق أكثر في هذه الملاحظة لابد على المهتم أن يلاحق مباحث الإمامة في تراث علمائنا ويقارنها بحزن بمباحث الألوهية ويعترف التنزيه و التقديس في أي مباحث كانا.

لماذا نستغرب اليوم أن هناك دولا إسلامية تحتوي قوانينها على عقوبة "العيب في الذات الملكية"؟؟؟ونتذكر ان بعض الدول التي خرجت في مليونيات ضد الرسومات المسيئة للرسول ﷺ يعد "سب الله " من نافلة البذاءة ولكن نادرا ما يخطئ حتى المخمور فيهم ويشتم الحاكم.

لا يخف هنا أن الغرض ليس إبعاد العقول عن التراث العلمي الضخم ولكن التمهيد إلى أن علماء الكلام قسموا علم الكلام إلى :

جليل الكلام و دقيقه يعرف المتخصصون جليل الكلام بمباحث الالاهيات وصفات الباري وأفعاله وقدرته وعلمه وإرادته والقضاء والقدر والبعث والمعاد والنشور.

ويعرفون دقيق الكلام بمباحث المادة وصفاتها وتحولاتها وتفاعلاتها والحركة والسكون والثقل والوجود والعدم [24].

مجمل المباحث في دقيق علم الكلام نجدها اليوم في الفلسفة والفيزياء وعلومها وهي اقرب إلى البحوث الموضوعية التي تختفي فيها نسبة عالية من الشك والخطأ.

لاحظ أحد الفيزيائيين المسلمين: أن الخلاف كان أساسا في جليل الكلام أي في مباحث الالوهية وتوابعها: ملاحظا:

و من المعروف تاريخيا أن مباحث جليل الكلام هي التي انشات الاختلاف والشقاق بين المسلمين حتى صار بعضهم يكفر بعضهم الآخر وهذه المباحث في صفات الله وعلمه وقدرته وإرادته [25].

ويدقق فيقول:

لم يكن همهم الأساس النظر في الطبيعة ومحاولة استكشاف قوانينها ونواميسها بقدر ما كان همهم منصبا على إثبات وجود الله وإثبات صفاته وقدرته الحاضرة أبدا[26].

لم يطور علماء الكلام نظرية في الحكم وهم بدأوا رحلتهم بقضية التقاتل على الحكم واجتهدوا في مباحث عن صفات وأفعال الله بلغة وجرأة لا يمكن انكارها وأسسوا لمباحث فلسفية حول الطبيعة تأصيلها اليوناني أو الهندي أو غيرها من المشارب واضح، ولم يتوغلوا بعيدا في تطوير هذه المباحث ليرجعوها إلى مباحث الألوهية. لكل ذلك يركز بعض دعاة علم الكلام الجديد على ضرورة قراءة كل التراث الإسلامي من منظور نسبي لاعتماد العقل المسلم على معارفه النسبية وبشريته غير المعصومة.

يرى أحد الباحثين أنه:

في المرحلة الأولى ظلت العقلانية متواجدة بوجود المعتزلة الذين بشروا ببواكير منهجية علمية وقفوا على بعض قواعدها وقوانينها كالسببية والحتمية كما درسوا الطبيعيات من خلال تأثر المعتزلة الأواخر بالعلم اليوناني خصوصا...كما شهدت تلك المرحلة بواكير التطبيق العملي لهذه العلوم برغم اختلاطها بالشعوذات و السحر

..أكثر من ذلك إن المعتزلة الأواخر طرقوا في هذه المرحلة باب النظرية الذرية عندما تحدثوا عن الجزء الذي لا يتجزأ برغم توظيفهم هذه الآراء في مجال الميتافيزيقا ليس إلا.[27]

يعرض إذن التراث العلمي من دقيق الكلام على المختصين يقارنونه بالمستوى العلمي أثناء إنتاجه وبالمسار الذي سلكه وبالإشكالية التي حركت القائمين عليه ولكن السؤال الملح هاهنا هو: ماذا يبقى من علم الكلام إذا أحيلت مباحث دقيق الكلام على الراسخين في علم الطبيعيات والذي نصيب المسلمين فيه لا يكاد يذكر أمام تضخم وشهرة الالاهيات؟ وماذا يبقى منه إذا غربل التراث الكلامي من كل آثار المعارك التي اضطر علماء الكلام إلى الدخول فيها ردا على الشبهات و ما هي الشبهات التي أفحموا أصحابها فيها- فعليا وبالدليل التاريخي - وبعثت من جديد وهل حجج علماء الكلام تلك مازالت صالحة وإن كانت الشبهات متشابهة ولكن محيوها مسلحين اليوم بآليات جديدة كيف تبنى الخطوط الدفاعية اليوم في ظل التشتت والصراع المذهبي النائم بعين مفتوحة؟؟؟

والسؤال الذي سيحدد الرؤية الموضوعية لمحصل الحوصلة هو أين النتائج الحقيقية لكل تلك المعارك بين النخب المتصارعة على احتكار التفسير والتأويل وعلى رسم خريطة اعتقاد البشر عوامهم وخواصهم ؟؟؟؟

الدينامكية داخل علم الكلام بين المسلمين لم تكن دوما لصالح بناء خطاب كلامي موحد لان التكفير المتبادل دليل على غياب نية البحث عن الجبهة الموحدة للتصدي لهجمات التشكيك.

يلاحظ احد الباحثين:

المعتزلة توغلوا في علم الكلام وتشبثوا بأذيال الفلاسفة في كثير من الأصول وشاع مذهبهم بين الناس وترك الأشعري المعتزلة واشتغل هو ومن اتبعه بإبطال رأي المعتزلة وإثبات ما وردت به السنة ومضى عليه الجماعة فسموا أهل السنة والجماعة ثم

لما نقلت الفلسفة إلى العربية وخاض فيها الإسلاميون حاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة فخلطوا بالكلام كثيرا من الفلسفة لتحققوا مقاصدها فيتمكنوا من إبطالها ....إلى أن أدرجوا فيه معظم الطبيعيات والإلهيات وخاضوا في الرياضيات حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات [28].

المستشرقون وضعوا مثل هذه الأسئلة نصب أعينهم و هم يحققون التراث الإسلامي لأول مرة وقرءوه بمناهج دقيقة لم تكن دائما بريئة من الخرافات علمية ولكن يحسب لهم أنهم أجبروا بعض العلماء المسلمين على البحث الموضوعي المسلح بالأدوات التي تسمح بالوصول إلى النتائج العلمية[29].

الدائرة المغلقة والتصنيف:

يؤلف عالم الكلام كتبه محصنا نفسه من ثورة الحاكم عالما أن هذا الأخير لايتحرك في إدانته إلا بإيعاز من زملائه في الكلام أومن علماء الدين وفقهاء يتصيدون عثراته .يلاحظ أيضا أن المؤلفين _ ليس علماء الكلام فقط- كانوا يختارون عناوين توحي بأنهم وصلوا إلى الحقائق المطلقة مثلا: نهاية.الموقعين عن رب العالمين.

يقول الشهرستاني في مقدمة كتابه:" نهاية الإقدام في علم الكلام"

وقد أوردت المسائل على تشعث خاطري وتشعب فكري ممتثلا أمره في معرض المباحثات ترتيبا وتمهيدا وسؤالا وجوابا وجعلتهما عشرين قاعدة تشتمل على جميع مسائل الكلام وسميت الكتاب نهاية الإقدام في علم الكلام [30].

لاحظ جيدا دواعي التأليف وعبارتي نهاية وإقدام وأيضا جميع مسائل. ولفهم أبعاد هذه التساؤلات يرجع إلى ما قاله بعيدا عن المقدمة في:

"وقد نجز غرضنا من عشرين قاعدة في بيان نهايات أقدام أهل الكلام وإن تنفس الأجل وأمهل العمر شرعنا في عشرين أخرى" [31].

قراءة مضنية للقواعد العشرين و قراءة محترفة لبعض المتخصصين في أصول الدين المدافعين عن هذا المنهج ومع ذلك من حق الدارس الموضوعي أن يتساءل عن المحنة العلمية هذه التي تجعل العالم يحدد سلفا ما سيصل إليه وبالطريقة الحسابية مدعيا أن ما يقوله ضروري للدين.

البحث المتأني في هذا التراث بين أن تمكن بعض علماء الكلام من علم الحساب سمح لهم بتقديم ما كانت قالته لنا المرحومة فوقية حسين محمود من أن الترف العقلي كان أقرب إلى الوبال في علم الكلام رغم حبها العلمي للجويني[32].

يقول الشهرستاني في: الملل في مقدمته الخامسة في بيان السبب الذي اوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب:

لما كان مبنى الحساب على الحصر والاختصار وكان غرضي من تأليف هذا الكتاب حصر المذاهب مع الاختصار اخترت طريق الاستيفاء ترتيبا و قدرت أغراضي على مناهجه تقسيما وتبويبا...لئلا يظن أني من حيث أنا فقيه ومتكلم أجنبي النظر في مسالكه ومراسمه[33].

الهوس بالحساب والبحث عن توليد عدد الفرق استوقف الدارسين وتساءل البعض لماذا لم يسلم علماؤنا بان الفرق السبعين قد يمتد انتشارها زمنيا ومكانيا وربما يكون العدد هو إجمال عدد الفرق إلى أن يرث الله الدنيا وتساءل آخرون مثلا هل يعقل أن تجتمع كل الفرق في زمن واحد وجهة واحدة ؟؟؟؟

ويسأل آخرون لماذا لم يفكر علماء الفرق في أن هذا العدد (سبعين) قد يكون كناية عن المبالغة في الكثرة كما في قوله تعالى سبحانه: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ التوبة80.

الحساب والجبر اللذان حفزا الكلاميين لصب أفكارهم في قوالب نهائية انتبه إلى آثارها الشيخ الغزالي.

غدا علم الكلام بحثا نظريا ينتظم المقدمات ويستخلص النتائج كما تضع ذلك الآلات الحاسبة في عصرنا هذا أو الموازين التي تضبط الأثقال الأجسام ثم تسجل الرقم وتقذف به للطالبين وكذلك سارت الاستدلالات في هذا العلم الخطير فتكلمت عن الله سبحانه و تعالى وعن صفاته الكريمة و انتهت إلى حقائق جيدة يستريح إليها العقل الحصيف بيد أن الإسلام في تكوينه للعقيدة يخاطب العقل والقلب[34].

ويقارن محمد الغزالي بين دروس التوحيد وشروح المعادلات الجبرية كلاهما ترويض للعقل مبتوت الصلة بالفؤاد[35].

ملابسات نشأة وتطور علم الكلام المعروضة في الكتب ترجع دائما إلى الحادثة التي هزت كيان المسلمين والتي نشأت نتيجتها مقدمات لايمكن مواصلتها إلى مصبها " المنطقي":

– عدالة الصحابة وأنهم خير القرون وأنهم مصابيح تقتدى بهم الأجيال.

– القتل والغدر وشهادة الزور والخيانة والاعتداء على الحرمات من الجرائم الكبرى في الدين الإسلامي.

– فكيف تنسب للصحابة تلك الجرائم ويحافظون على أفضليتهم وعدلهم الذي يترفع بهم عن عامة المسلمين ؟؟؟؟

محاولة الإجابة تحدث الكثير من الهزات الارتدادية التي تلحق الزلزال الأكبر لثقل السؤال ولذلك ارتجت العقول والقلوب وانبرى البعض إلى غلق باب السؤال باتقاء تلويث الألسنة بالدناء كما تلوثت السيوف بالدماء الطاهرة وهناك اليوم من

يعيد النظر في تلك الأحداث مع ميل لتكذيبها بينما البعض يخرج لساحة النقاش وربما الطعن الخفي دور المنعزلين الذين لم ينخرطوا في تلك النزاعات.

وكثفت الصورة الأولى في مشهد الاقتتال من اجل الإمارة.

يقول الشهرستاني:

وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان [36].

لقد ازداد الشد بين العقل و العاطفة عنفا ودخلت السياسة أي الإمارة لتتعامل مع خراب الزلازل وفق إستراتيجية غريبة بدل أن تواصل في توليد الأسئلة والأجوبة في مجال الإمارة توجهت إلى الجرأة على الله والتقول عليه و"إلزامه" بنتائج التفكير المتأزم لبعض البشر لتصل الجرأة لمداها غير المنتظر بدعوي الرد على أسئلة المسلمين من خلفيات وثنية وسماوية محرفة و التصدي لتحديات وإثارة للفتن من المندسين من أتباع تلك الديانات من اجل أضعاف البناء العقدي للأمة .

متابعة هذه الخلفية عبر النصوص الكلامية التي جاءت لترد على هذه التحديات تترك لدى المراقب الموضوعي نقاط رمادية كثيرة وثغرات واسعة لمآلاتها الغريبة في أحيان كثيرة وتدفع بإلحاح نحو البحث تفسير للحالة قد يقارب ما جاء في القرآن في الآية 138 من سورة الأعراف وما فعله اليهود عندما طلبوا من النبي موسى﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ ﴾.

الاستشهاد طبعا يؤخذ منه المأزق الذي جعل بعض المتكلمين أنفسهم فيه باستعارة مباحث في الالوهية من انساق مختلفة تماما بل ومتناقضة مع روح القران أفهمنا ابتداء أن ليس كمثله شيئا.

لا يحتاج المتأمل للوصول الى هذه النتيجة بأن يفتح عقله بقادوم ويجبره على التفكير في حيز لله وفي صفة لكلامه وفي خاصية لحركته لأن الإيمان الإسلامي لم يتحول إلى "كاتالوج " إلا في أزمنة أزمة العقل والعمل.

التراث الكلامي كما قال الشيخ الغزالي فيه أمور جيدة ولكن الأمور غير الجيدة قد تغرقها. لماذا كفر الكلاميون بعضهم بعضا ولماذا كثرت الانشقاقات والتكفير المتبادل من أبناء نفس المدرسة والمفروض أن علم الكلام جاء ليعيد للعقيدة الإسلامية توازنها وانسجامها ويبعد عنها ما قد يشوها ..

يقول الرازي في كتابه :أساس التقديس وبعد جولة مضنية في مباحث موزعة في أقسام عن الدلائل المؤكدة على انه تعالى منزه عن الجسمية والحيز وتأويل المتشابهات من الأخبار والآيات يصل إلى أن:

المتشابهات في القرآن والأخبار كثيرة و الدواعي إلى البحث عنها والوقوف على حقائقها: متوفرة فلو كان البحث عن تأويلها على سبيل التفصيل جائزا لكان أولى الخلق بذلك الصحابة والتابعون ﷺولو فعلوا ذلك لاشتهر [37].

ليس الكلام السابق انتقائيا ومغرضا بل هو تركيز على الأجواء التي صنعت ذلك التراث الضخم الذي يتوقف المرء عنده و يحتار كيف لتلك العقول التي ادعى كل فريق منهم انه وحده على الحق والآخرين على الباطل المدخل للنار وكيف يدافع البعض عن ميراث غير منسجم ويريدونه خلفية للتطور ؟

كيف يستقيم الأمر والبعض رافض أن يمس هذا التراث حتى لا يستغل النقد حتى وان كان موضوعيا في هدم كل ركائزه التي صنعت مجد الأمة.

الارتباك و التأرجح في التراث الكلامي ليس بين نصوص المختلفين بل بين نصوص المذهب الواحد والشخص الواحد وأحيانا في النص الواحد؟

كان الرازي أول من ادخل الفلسفة إلى مباحث علم الكلام وباعتبار الفلاسفة من جانبهم رفضوا منهج المتكلمين فتحت جبهة أخرى للتناقضات الأفقية والتهم المتبادلة ونقض النقد ونقد النقض.

لاحظ محمد إقبال في كتابه :" تجديد التفكير الديني في الاسلام":

المتقدمون من علماء المسلمين قرأوا الكتاب على ضوء الفكر اليوناني و مضى عليهم أكثر من قرنيين من الزمان قبل أن يتبين لهم في وضوح غير كاف أن روح القرآن تتعارض في جوهرها مع تعاليم الفلسفة القديمة و قد نجم عن إدراكهم هذا النوع من الثورة الفكرية التي لم يدرك أثرها الكامل إلى يومنا هذا[38].

يضيف محمد إقبال متطرقا للوجه الآخر من الكلام الفلسفي:

غابت عن ابن رشد فكرة إسلامية مثمرة عظيمة وساعد من غير قصد على نمو فلسفة للحياة تورث الضعف وتغشى على بصر الإنسان عند نظره إلى نفسه وإلى ربه وإلى دنياه [39].

نقد إقبال لابن رشد يجب ربطه أيضا بنقد ابن رشد لعلم الكلام بروح استعلائية ظاهرة في مؤلفاته.

و إقبال يواصل نقده لعلم الكلام بنفس المشرط ويبدو أن محمد إقبال مثل محمد الغزالي ومثل حسن حنفي كلهم كانوا يبحثون في علم الكلام عن العلم الذي وراءه عمل وبلغة أكثر دقة علم للإنسان الضعيف بجهله والقوي عندما يعرف رسالته في حياته القصيرة المحددة للحياة الأبدية .

يقول إقبال :

حركة الأشاعرة في جملتها لا غاية لها إلا الدفاع عن رأي أهل السنة بأسلحة من المنطق اليوناني و المعتزلة قصروا إدراكهم للدين على أنه مجموعة من العقائد متجاهلين

أنه حقيقة حيوية فلم يحفلوا بأساليب إدراك الحقيقة إذا كانت لا تقبل التصور. وأرجعوا الدين إلى نسق المعاني المنطقية انتهى إلى موقف سلبي بحت وغاب عنهم أنه في ميدان المعرفة علمية كانت أو دينية لايمكن للفكر أن يستقل تمام الاستقلال عن الواقع المتحقق في عالم التجربة [40].

فكرة محمد إقبال سنجدها أكثر تحليلا عند تيار علم الكلام الجديد لعبد الكريم سروش ومحمد الشبستري خصوصا في تحليلهما للتجربة الدينية.

ومثلما بين نقاد عبد الكريم سروش أن هذا الأخير يستنسخ بعض آليات الفيلسوف كانط في بعض أهم مباحثه كنسبية المعرفة الدينية البشرية المبنية على مقولتي الشيء في ذاته والشيء كما يراه الإنسان.

نجد إقبال قبل هذا قد استحضر كانط أيضا عند حديثه عن أبي حامد الغزالي كما فعل غير إقبال أيضا والحقيقة أن كانط يكاد يكون الشخصية الظل التي تسكن الكثير من كتب الإسلاميين والباحثين في الفكر الإسلامي.

يقول إقبال:

لا سبيل إلى إنكار أن الدعوة التي نهض بها الغزالي تكاد تكون دعوة للتبشير بمبدأ جديد مثلها في ذلك مثل الدعوة التي قام بها كانط في ألمانيا في القرن الثامن عشر [41].

و يحلل إقبال الصراع الذي نشب عندما تبين استحالة البرهنة على العقيدة بالعقل و انتهى الصراع بتبرير الإلحاد ولكن كانط كما يرى إقبال كشف بكتابه عن العقل الخالص عن قصور العقل الإنساني:

فهدم كانط بذلك ما بناه أصحاب المذهب العقلي من قبل وصدق عليه القول بأنه كان اجل نعم الله على وطنه وأن التشكك الفلسفي الذي اصطنعه الغزالي على تطرفه بعض الشيء قد انتهى إلى النتيجة نفسها في العالم الإسلامي [42].

بعض مباحث كتاب إقبال نجدها حاضرة في كتابات تيارات علم الكلام الجديد وفي تيار نقد وهدم علم الكلام.

يمكن الحديث عن أزمات نفسية وعلمية في حياة الغزالي تتخذ اليوم أيضا كدليل عملي عن سوء مآل علم الكلام والعاملين فيه ويدللون على ذلك بكون كبار هذا التيار قد تابوا في أواخر حياتهم عما "اقترفوه" في حياتهم الكلامية.

السلف تخوفوا من الجدل الديني والمناظرات اللاهوتية وحظروا على الناس الخوض فيها بحكم أن ما في الكتاب والسنة يكفيهم لتنظيم حياتهم وطائفة أخري من العلماء رأت أن الجدل هو نوع من الدفاع عن الدين الإسلامي حيث لم يتركوا المجال واسعا لأرباب تلك الديانات لينشروا أفكارهم بين المسلمين[43].

من الكتب المحذرة من علم الكلام:

"الغنية عن علم الكلام" أبو محمد الخطابي ت388هـ

"ذم الكلام وأهله" الهروي ت 481هـ

"صون المنطق والكلام عن المنطق والكلام" السيوطي.

"تحريم النظر في كتب أهل الكلام" لابن قدامة المقدسي. الذي يستشهد فيه بقول الشافعي: حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر يستشهد بقول احمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام أبدا و لا تكاد ترى احد نظر في الكلام إلا و في قلبه دغل[44].

و"الجام العوام عن علم الكلام "الذي جاء فيه:

الباب الاول: الحق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعني مذهب الصحابة والتابعين وهو الحق عندنا أن كل من بلغه حديث من

هذه الأحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور: التقـــديس ثم التصـــديق ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الإمساك ثم الكف ثم التسليم لأهل المعرفة[45].

هي سبعة يمكن إيجازها في التنزيه والتسليم لأهل المعرفة.

ويضيف بصريح الإعتراف:

بينا بالبرهان القطعي في كتاب المقصد الأقصى في معاني أسماء الله الحسنى أنـــه لا يعرف الله عنه معرفته إلا الله ..الحضرة الالهية محيطة بكل ما في الوجـــود إذ لـــيس في الوجود إلا الله و أفعاله [46].

لم يخل المشهد الكلامي العام من كتب ترغب في علم الكلام وتنفي عنه التـــهم المتعددة المصادر والمختلفة الحجج وان كان من النادر خلو الكتب الكلامية تلميحات صريحة أو باهتة إلى أن الأسلم هو الاعتقاد الفطري..

يقول التفتازاني في شرح العقائد النسفية:

وما نقل عن بعض السلف من الطعن فيه والمنع عنه فإنما هو للمتعصب في الدين والقاصر عن تحصيل اليقين والقاصد إفساد عقائد المسلمين [47].

الظاهرة الجديرة بالدراسة هي اضطرار من ذم علم الكلام وكفر بعض العاملين فيه إلى الدخول بقوة في معترك مباحثه :يقول الشهرستاني:

المحاسبي وهؤلاء كانوا من جملة السلف إلا أنهم باشروا علم الكلام وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين أصولية وصنف بعضهم ودرس بعض[48].

ويضيف في تتبع هذه الظاهرة العلمية بتشعبات خارج مجال العلم:

إعلم أن السلف من أصحاب الحديث لما رأوا توغل المعتزلة في علـــم الكـــلام ومخالفة السنة التي عهدوها من الأئمة الراشدين ونصرهم جماعة من أمراء بني أمية على قولهم بالقدر وجماعة من خلفاء بني العباس على قولهم بنفي الصفات وخلـــق القـــرآن

تحيروا في تقرير مذهب أهل السنة والجماعة في متشابهات: آيات الكتاب الحكيم وأخبار النبي الأمين ﷺ.[49]

هذه ورشة محتملة لتتبع هذا التحول و أبعاده و متتاليات إمتداده الأفقي والعمودي من خلال المباحث و من خلال سقف الجرأة و الإقدام في التحليل.

مدخل علم اجتماع المعرفة:المسلك الآمن:

قاعدة لابد أن ينتبه إليها المتوغل في تراثنا الإسلامي عندما يتناول أي علم أو أي مبحث في علم يرتبط بشخصية مركزية وهي تتبع المعطيات التالية :

- الوظيفة السياسية للشخصية.
- خلاصة تجربتها السياسية ومسار علاقتها بالسلطة .
- الانتباه لإهداء الكتاب لمعرفة أغراض التأليف وأسبابه .
- الظروف الحقيقية المحيطة بالمؤلف وبالسلطان وبالأمة.
- المزاج الخاص للمؤلف وللسلطان أو الأمير.

كما أن القراءة المعمقة للمعطيات السوسيو_ اقتصادية والخريطة المعرفية السائدة والحدود المتحركة للآفاق الثقافية تسمح بتبيئة وتفكيك الخطاب الكلامي داخل بنيته وخارجا في المؤثرات التي تترك بصمتها وصداها في أجزائه.

يقول عبد العزيز راجل في مقدمة كتابه:

الأشعرية أصبحت هي النظرية السياسية للدولة الأموية السنية والأمامية أصبحت هي نظرية المقاومة والفرق الكلامية في حقيقة الأمر هي الأحزاب السياسية و الكلام ما هو إلا الإيديولوجية السياسية للفرق[50].

وقراءة أخرى من نفس المنطلق جاءت في كتاب عبد الجواد ياسين:

علم الكلام ما هو إلا انزياحا عن مناقشة القضايا السياسية أنذاك بشكل مباشر وجعل المباحث والقضايا الكلامية تعبيرا عن مواقف سياسية[51].

علم الكلام كمتوج معرفي علمي يقاربه البعض أيضا من خلال ربطه بمسائل الواقع الملحة التي ينتجها المجتمع بكل طبقاته وفئاته لأن الدين يخترقها جميعها ويوم الحساب هو نفس يومهم جميعا.

نقاد علم الكلام الموضوعيون اليوم لا يمكنهم الادعاء إن حججهم غير موجودة في التراث الإسلامي فمسار نشأة وتطور علم الكلام كان يوازيه دائما مسار ونشأة وتطور نقد علم الكلام وفيه تلوينات بين الرفض المطلق والتكفير والخوض الإجباري في بعض المباحث والدخول في معركة نقض نتائج مباحث علم الكلام لبنة لبنة.

لاحظ نقاد المفكر عبد الكريم سروش صاحب الاجتهادات الجريئة في علم الكلام الجديد المبنية أولا على نقد علم الكلام التاريخي أنه:

يسعى في كتابه القبض والبسط في الشريعة على تقديم مشروع نظرية تفسيرية (هرمنوطيقية) معرفية (ابستمولوجية تستلهم المنهج الكانطي في التمييز معرفيا بين الشيء لذاته والشيء لذاتنا فتميز بين الدين والفكر الديني أو المعرفة الدينية التي هي قراءة للدين لتتساءل حول طبيعة العلاقة بين هذه المعرفة والمعارف البشرية الأخرى كما تفترض أن الدين ثابت بينما المعرفة الدينية ظاهرة بشرية متغيرة و نسبية كشأن المعارف الأخرى.[53]

هذا مع العلم ان سروش يقول بنسبية المعرفة لا نسبية الحقيقة.

لقد سبق التفتزاني وقال :

حقائق الأشياء ثابتة حقيقة الشيء وماهيته ما به الشيء هو هو كالحيوان الناطق للإنسان بخلاف مثل الضاحك والكاتب مما يمكن تصور الإنسان بدونه فانه من العوارض ....وتحقيق ذلك أن الشيء قد يكون له اعتبارات مختلفة[54].

دراسة عمليات نقد وهدم بعض ركائز الميراث الكلامي والبناء الجديد لهندسة معرفية جديدة لهذا العلم تقرأ أيضا ضمن ربط المفكرين العاملين في هذا الحقل بنضالهم اليومي من أجل التغيير و"تمرعهم" بالمصطلح الحديثي في مشاكل الواقع.

حسن حنفي النقد بمشروع:

استفاد حسن حنفي من المناهج الحديثة ومن تيار لاهوت التحرير الذي مزج بين الكاثوليكية والنضال اليساري وقدم نماذج حية في أمريكا اللاتينية وأثار غضب الفاتيكان وحاول حسن حنفي أن ينبه إلى قضايا عديدة في تراثنا يهمنا هنا دعوته إلى تجديد التراث الذي من عناصره الأساسية علم العقيدة.

في كتابه: "من العقيدة إلى الثورة: المقدمات النظرية":

صياغة جديدة لعلم أصول الدين وفروعه مثل لاهوت الثورة ولاهوت التحرر ولاهوت التنمية ولاهوت التغيير الاجتماعي ولاهوت المقاومة ولاهوت التقدم ولاهوت العدالة الاجتماعية ولاهوت الوحدة ولاهوت الجماهير ولاهوت التاريخ....الخ وتلك هي رسالة التوحيد [55].

توليد المباحث عند حسن حنفي تذكرنا بروح الشهرستاني وولعه بتوليد المباحث و تحدي نفسه في استيفائها.

يقول حسن حنفي:

علم الكلام إذن تدمير للوحي كما أن الوحي تدمير لعلم الكلام الوحي تعبير عن وضع الإنسان الأمثل في الجماعة ليدرك المسافة بين الواقع والمثال ويقوم بتحقيق رسالته في التوحيد بينهما بالفعل. وعلم الكلام اغتراب للإنسان و حذف به خارج العالم من أجل عبور المسافة من الواقع إلى المثال عن طريق التمني والخيال أو الوهم والخداع فأيهما موقف صحيح و أيهما موقف مزيف[56] .

مفردات المعجم الماركسي واضحة في كلام حسن حنفي واحتجاجه وثورته على علم الكلام تفهم من خلفيته الفكرية التي تجعل الفكر في خدمة الواقع ومستجيبا لتحدياته ومصطلحات الوهم والخيال أيضا من المعجم الماركسي الذي تتحدث أدبياته عن تزييف الوعي وأما مصطلح الاغتراب فان الماركسيين استخدموه للتعبير عن أزمة الطبقات الكادحة في إنتاجها للثروات والبضائع وعدم قدرتها على اقتنائها وتوسع الفكر الماركسي في دراسة تداعيات هذه الظاهرة ولم يكن كل ما قالوه كفرا طبعا.

لغة حسن حنفي هي لغة الإنسان أما لغة علماء الكلام فكانت لغة (حول الله) لأ لذلك يلاحظ أن نقد حسن حنفي كان في كثير من جوانبه صوابا نجد ملامحه أيضا في معاصره من خلفية أزهرية و أصول الدين تحديدا الشيخ الغزالي الذي يقول في مشروعه :"عقيدة المسلم" في وقت كان أمام هذه العقيدة تحديات حقيقية عبر عنها حسن حنفي بلغة مباشرة و خطابية أحيانا وحادة بوضوحها.

يقول الشيخ الغزالي وهو المتخصص في أصول الدين من أكبر جامعة إسلامية في العالم الإسلامي:

للظروف التي نشأ فيها علم الكلام أثر سيء في سرد حقائقه وصوغ دقائقه, من الغفلة أن نحسب تكوين العقيدة يتم في مجلس مناظرة تتصيد فيها النصوص وينشد فيها الغلبة ويلعب فيها بالألفاظ ويستغل منطق أرسطو في المخاتلة وإيقاع الخصم أمام العامة [57].

ما يقوله الدكتور الشيخ محمد الغزالي يذكرنا بأن هناك كتبا ورسائل كتبها المسلمون في تقنيات المناظرة وفي آفات المناظرة كما جاء مثلا في إحياء علوم الدين وفي الفصل التاسع من مقدمة ابن خلدون كما انتشرت أخبار المناظرات في كتب الأدب وأحيانا الظرفاء والتي تبين في مجملها مايذهب إليه الشيخ الغزالي.

يضيف الشيخ الغزالي في نفس كتابه شرحا للقضية والتي تطرق إليها في بعض كتبه الأخرى وفي محاضراته أيضا:

إذا نشب خلاف على مسألة ما بين علماء مخلصين فان هذا الخلاف لن يطول أجله وإذا قدر له أن يطول فلن يترك في النفوس حقدا ولا في الصفوف صدعا وإذا حدث من ذلك شيء فلابد أن يكون لأسباب مصطنعة بعيدة عن دائرة العلم ....و قد لمحت وراء كثير من ضروب الخلاف أشياء كثيرة تغاير البحث المتره في العلم[58].

لقد واجه الشيخ الغزالي في جهوده لمراجعة بعض المسلمات التراثية هجوما شرسا من جهات عدة وقليل جدا منها ما كان ذلك الهجوم علميا وموضوعيا ولم يسلم منه مشروع الغزالي المكتوب والمسموع والحركي ومع ذلك ما قام يبقى جهدا بشريا غير معصوم.

وقد بين هو نفسه أن الخلاف كان موجودا حتى في القرن الأفضل يقول:

بعض الآراء التي ظهرت بها هذه الفرق حدث مثله في العصر الأول بين فقهاء الصحابة و ظل على هامش المجتمع الإسلامي[59].

وهو نفس ما اعترف به البغدادي في "الفرق بين الفرق":

فتح الله لهم الفتوح وهم أثناء ذلك كله على كلمة واحدة في أبواب العدل والتوحيد والوعد والوعيد وفي سائر أصول الدين وإنما كانوا يختلفون في فروع الفقه مما لم يورث اختلافهم فيه تضليلا ولا تفسيقا[60].

ولكن يلاحظ أن البغدادي يضع الإسلام الأول في قالب لاحق فهو يحدده في مسائل كلامية لم تطرح بالحدة التي عرفها الجدل الكلامي في القرون اللاحقة.

مشاريع بناء الكلام الجديد تكاد تتفق في نقدها للتراث الكلامي على خطوط عريضة مشتركة يمكن إيجازها فيما لخصه عبد الجبار الرفاعي أحد رواد تيار الكلام الجديد:

1- هيمنة المنطق الأرسطي في الاستدلال على قضايا العقيدة.

2- طغيان النزعة التجريدية أو الفصام بين النظر والعمل.

3- تفريغ علم الكلام من محتواه الاجتماعي .

4- تراجع دور العقل و شيوع التقليد[61].

الرفاعي هنا لا يناقش مشروعية مباحث علم الكلام ولا ملابسات تأسيسه الأول وهو عين ما يركز عليه عبد المجيد النجار في كتابه "فقه التدين فهما وتنزيلا":

مقتضى الخطاب التكليفي يمنع من أن يكون التراث ملزما في فهم الدين كمبدأ عام ولا نظر هنا إلى الحالات التي لا تتوفر فيها قدرات الفهم فهي الحالات العارضة التي تعالج بقدرها و لا ينبني عليها أصل عام ويتبين من هذا أن إلزامية التراث في فهم الدين ليس لها سند شرعي [62].

روح أبي حامد الرازي والتراث الكلامي حاضرة في لغة النجار لكن كيف نربط ذلك ببعض ما جاء في كتابه عن ابن تومرت الذي ألزم الناس بالمذهب الأشعري و ممارسات أخرى خدم فيها الدين السياسة [63]

علم الكلام الدواء الذي تحول الى اكسيجان العقيدة:

نبه المتخصصون إلى الثغرة الكبيرة الموجودة في التراث الكلامي الضخم خصوصا وأن التقييم يتعلق بالحصيلة النهائية لمعارك وجهود واجتهادات جعلت منها بعض الدوائر ترسانة حاجبة للروح الحقيقية للإسلام .

خلت مدونات علم الكلام في صورتها الأخيرة من الاهتمام بسلوك المسلم النابع من تصوراته العقدية [64].

ركز أيضا على علاقة ذلك بالتحديات الأجنبية التي هي اليوم أكثر حضورا مع وسائل الاتصال الحديثة وتطور أساليب التشكيك ولكن أيضا حب الاطلاع الذي يدفع الكثير إلى دخول عوالم مغايرة لعقائدهم وقد ينبهرون بما قد يبدو حياديا كالرياضات القتالية واليوغا وبعض العادات الحياتية وغيرها مما لا يتفطن الكثير لخلفيته العقدية.

ديناميكية علم الكلام وروحه الجهادية ثراء لابد من استثماره لمواجهة الكثير من التهديدات الحقيقية لبنيان الأمة.

وقد وجدنا أن أولى المشكلات التي ظهرت في العالم الإسلامي بسبب الإسلام هي مشكلة الألوهية أو الذات والصفات وكان ذلك في أواخر القرن الثاني خاصة عند النظام والعلاف وقد كانت هذه المشكلة بسبب مواجهة الإسلام لليهود أصحاب التجسيم والنصارى أصحاب التثليث والمجوس أصحاب الثنائية وأما مشكلة النبوة فقد تأخر ظهورها في المحيط الإسلامي حينما واجه الإسلام أصحاب ديانات الهند خاصة السمنية والبراهيمية.[65]

هناك هذه النظرة التي تدفع نحو اعتبار مباحث علم الكلام كانت تخضع في نشأتها و تطورها لعوامل خارجية و هو سبب من الأسباب والتركيز عليه هنا للإشارة إلى أن الأمة الإسلامية اليوم موجودة في تقاطع تيارات متناقضة وقوية والرد من العلماء يغلب عليه الخطاب العاطفي واللجاجي.

الحكمة الذهبية المأخوذة من التراث الكلامي هي الاعتراف بأن علم الكلام كان بمثابة العلاج:

اعلم أن الأدلة التي نحررها في هذا العلم تجري مجرى الأدوية التي يعالج بها مرض القلوب و الطبيب المستعمل لها أن لم يكن حاذقا ثاقب العقل رصين الرأي كان ما يفسده بدوائه أكثر مما يصلحه فليعلم المحصل المضمون [66].

يربط الغزالي هنا بين دور الإسعاف الذي ألزم علماء الكلام أنفسهم بأدائه- بعيدا عن الملابسات الأخرى- والمستجدات التي تحرك العقائد عن مسارها الصحيح:

لا تنفك البلاد عن أمثال هذه الوقائع فوجب أن يكون في كل قطر من الأقطار وصقع من الأصقاع قائم بالحق مشتغل بهذا العلم يقاوم دعاة المبتدعة ويستميل المائلين عن الحق ويصفي قلوب أهل السنة عن عوارض الشبهة [67].

الإشكال في كلام الغزالي هو من يحدد الخطوط الفاصلة بين الشبهة والحق والسنة والبدعة ومن يحدد الإجابة الصحيحة على ما يطرح من أسئلة ملحة على العقل المسلم..وكما سبقت الملاحظة عن غياب خطاب منسجم داخل التراث الكلامي بل وداخل المذهب الواحد وقد تبين أن عالم الكلام الواحد ليس له خطا واضحا ومنسجما من أول رحلته الكلامية إلى آخرها ولا يمكن الوصول إلى قانون يبين هل هناك خطا تصاعديا أو تنازليا لمسار تراث علماء الكلام فالغالب أن هناك تذبذبا حتى في الكتاب الواحد وأحيانا في النص الواحد-كما سبق الإشارة-.

عدم وجود الخطاب الموحد للتصدي للهجمات المختلفة رافقه أيضا غياب أخلاق الاختلاف التي لم يبق حبيس الدوائر المختصة بل تناقلته الكتب ويحفظه بعض من يحارب الطواحين الهوائية.

معجم ألفاظ الشتائم والتكفير المتبادل الذي يزلزل المصداقية الأخلاقية التي يفترض أنها ابسط شروط العاملين في اشرف العلوم يفتح ورشة حقيقية لمن يريد رسم صورة متكاملة عن ذلك المجال الحيوي مجال الدفاع عن العقائد.

النموذج التالي تم اختياره اعتباطيا ولكنه ليس الأسوأ: كتاب:"الفرق بين الفرق" [68] وهو محقق عدة مرات ومطبوع في حلل كثيرة ومتداول بطريقة مرنة جدا.

يلاحظ مما ورد في الكتاب الإشارة الغامضة إلى مصادر المعلومات عن الفرق "الضالة" التي يحكم عليها بالكفر والإعدام أحيانا إلى التهكم والطعن في الأعراض أحيانا أخرى وإلى احتكار الإيمان بل والمعارف ككل من نحو وتاريخ وغيرهما.

السؤال الحائر والمحير كيف نبني معرفة متوازنة وهندس لخريطة معرفية أمينة إذا كانت أهم مصادرنا حول الجدل الكلامي والانشطارات الفكرية مصدرها خصوم؟

يقول البغدادي عن السبب في التأليف سألتم شرح معنى الخبر المأثور عن النبي في افتراق الأمة ثلاثا وسبعين فرقة.

ويجيب فرأيت إسعافكم بمطلوبكم من الواجب في إبانة الدين القويم[69].

المعروف عن المؤلف أنه كان إنسانا غنيا لم يكتو بنار السعي المذل للرزق كما تذكر كل المصادر تقريبا تمكنه من علم الحساب وكان لذلك على ما يبدو أثر في "تفكيكه" للآراء وتشتيتها بطريقة أقرب أحيانا للافتعال خصوصا إذا حاول قارئ كتابه رسم خطة وجداول تحصر الإنقسامات والداعي الموضوعي لها.

الملاحظة بعد قراءة تفاصيل الكتاب أن من قال أن علم الكلام والفرق كان من الترف الفكري سيجد ما يعضد رأيه هنا إذ الغرض العميق من السؤال هو الاحتياط من الوقوع في شراك الفرق الضالة والبحث عن طوق النجاة الذي يعصم من السقوط في النار ولكن الكتاب يضني السائل و يتيه به في متاهات ربما لم يسمع بها السائل ولا رغبة له في ذلك. الحوصلة للكتاب بعد هذا السؤال هو رحلة بين آراء لا نعلم حقيقة عدد المنتسبين للجغرافيا الإسلامية ممن يعتنقونها. لأن التجربة الحقيقية تبين أن الدين واحد لكن أشكال التدين متنوعة وكثيرة ولا يمكن إحصاء الخفي منها: من يستطيع

إدعاء امتلاك المعيار والمقياس الدقيق لمعرفة تصور وانطباع فكرة الله عند البشر؟ من يستطيع إدعاء أنه بإمكانه صنع "بروتوتيب" عقدي يفرضه على كل العقول والقلوب؟ البغدادي يتحدث عمن يكفرهم بعيدا عن القاعدة العادلة البينة على من ادعى فهو يدعي على فرق لا يخبرنا كيف استقصى أفكارها وكيف حاكمها وتسرع في تكفيرها واستدعاء المطرقة الفقهية لإنزال أحكام الردة والكفر.

تفكيك عناصر عقلية التأليف تأتي من المؤشرات التالية :

– المقياس الذي يعتمده المؤلف تفاصيله الأولية: والصحيح عندنا أ ن أمة الإسلام تجمع ..... فكل من أقر بذلك كله ولم يشبه ببدعة تؤدي إلى الكفر فهو السني الموحد وأن ضم إلى الأقوال بما ذكرناه بدعة شنعاء.

– ثم يعرض آراء بعض من يسميهم أهل البدع ويصنفهم بين من هو من غير أمة الإسلام ولا كرامة له وصنف آخر فيهم المعتزلة والخوارج وغيرهم ويجعلهم: من الأمة في بعض الأحكام وهو جواز دفنه في مقابر المسلمين وفي أن لا يمنع من الصلاة في المساجد و ليس من الأمة في أحكام سواها[70].

من يبين لنا إحصائيا كم كان هؤلاء وكم كان عدد أولئك؟

السؤال العاجل هنا: كيف يعرفهم هل يختبر المسلمين بالنموذج السابق هل يبحث عن تفاصيل بصمتهم الإعتقادية ويفتش في سرائرهم ويحاكمهم في مجالس متخصصة وماذا عمن يرفض عقله التفكير في تلك الأسئلة إبتداءا لأنه لم يسمع أن صحابة رسول الله خاضوا فيها وماذا عمن علاقته بخالقه مستقيمة لا عوج فيها ؟؟؟

وماذا عن العامة الذين لا يفهمون خطورة مثل هذا الامتحان وفي هذه الأسئلة الدقيقة والحقيقة أن مجموعة من المهتمين قاموا بطرح السؤال على عينة انتقائية تشمل

المتخصص الدقيق في العلوم الإنسانية والمتخصص الدقيق في العلوم الدقيقة وطلبة في العلوم الإسلامية وطلبة في غير العلوم الإسلامية وأفراد شبه أميين وأميين.

والنتيجة كانت بإنكار السؤال في بعض مباحث علم الكلام الجهل بأن هناك نموذجا يجب حفظه والتفكير فيه إجباريا نزر قليل جدا من طلبة العلوم الإسلامية المتفوقين الذين لم ينسوا ما درسوه واحتفظوا به كرصيد معرفي مع ملاحظة غربة في الألفاظ والأسلوب وبعضهم حملهم وفائهم لأساتذتهم على ترديد بعض المقولات الكلامية.

- مؤشر آخر في الفرق:

فان كان على بدعة الباطنية أو .... أو كان على دين .....أو كان ممن يحرم شيئا مما نص القرآن على إباحته باسمه أو أباح ما حرم القرآن باسمه فليس هو من جملة أمة الإسلام[71].

– ويضيف من بنفس منطق الحساب والأحكام النهائية : وإن كانت بدعته من جنس بدع ..... أو من جنس بدع أو..... كان من جمل أمة الإسلام في بعض الأحكام وهو أن يدفن في مقابر المسلمين ويدفع إليه سهمه من الغنيمة إن غزا مع المسلمين ولا يمنع من دخول مساجد المسلمين ومن الصلاة فيها ويخرج في بعض الأحكام عن حكم أمة الإسلام ....ولا تحل ذبيحته ولا تحل المرأة منهم للسنى ولا يصح نكاح السنية من احد منهم.[72]

ليس للقارئ أن يسأل ما هي مصادر الأشعري و ما هو عدد هؤلاء المحكوم عليهم و ما هي ردودهم على التهم و السؤال الأهم ما حقيقة وجودهم و ما حقيقة انتشارهم و ما حقيقة تهديدهم ؟؟؟ فهو في عرض آراء الخوارج الذي يكفر بعضهم يرجح قول شيخه في التعريف بهم :

وإنما الصواب فيما يجمع الخوارج كلها ما حكاه شيخنا الحسن رحمه الله.[73]..

وهو أيضا المصدر في التعريف بالمعتزلة:

وصح أن المعتزلة يجمعها ما حكيناه عنهم [74]

لا ضابط يمنع بعد التكفير و الإدعاء بما لا دليل عليه من قهم المخالفين من أن يشتمون و يطعن في أنسابهم وأخلاقهم: نماذج ذكر العمرية منهم: هؤلاء أتباع عمرو بن عبيد بن باب مولى بنى تميم وكان جده من سبى كامل وما ظهرت البدع والضلالات في الأديان إلا من ابناء السبايا كما روى في الخبر[75].

عند حديثه عن النظام:وأما كتب أهل السنة والجماعة في تكفيره فالله يحصيها ولشيخنا ابى الحسن الاشعرى رحمه الله فى تكفير النظام ثلاثة كتب وللقاضى ابى بكر محمد بن أبي الطيب الاشعرى رحمه الله كتاب كبير في بعض أصول النظام وقد أشار إلى ضلالاته في كتاب اكفار المتأولين ونحن نذكر في هذا الكتاب ما هو المشهور من فضائح النظام[76].

ويضيف: وينبغى للنظام على قول هذا الأصل أن لا يغضب على من قال له حشرك الله مع الكلاب والخنازير والحيات والعقارب إلى مأواها ونحن ندعو له بهذا الدعاء رضى به لنفسه [77].

يكمل البغدادي: ثم ان النظام مع ما حكيناه من ضلالاته كان افسق خلق الله عز وجل وأجرأهم على الذنوب العظام وعلى إدمان شرب المسكر وقد ذكر أن النظام كان يغدو على مسكر ويروح على مسكر وانشد قوله في الخمر[78].

– بنفس اللغة يضيف: فهذا راهب المعتزلة قد قال بتكفير شيوخه وقال شيوخه بتكفيره وكلا الفريقين محق في تكفير صاحبه[79].

والعرض مستباح أيضا :

ومن فضائح ثمامة ... هذا إقرار منه على نفسه بأنه ولد زنى [80].

ما يمنع بعد هذا من السخرية من خلق الله:

هؤلاء أتباع الجاحظ وهم الذين اغتروا بحسن بذله ولو عرفوا جهالاته في ضلالاته لاستغفروا الله تعالى من تسميتهم إياه إنسانا فضلا عن أن ينسبوا إليه إحسانا.[81]

ويمعن في ذلك [82]:

وقول أهل السنة في الجاحظ كقول الشاعر فيه:

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ما كان الا دون قبح الجاحظ

رجل يتوب عن الجحيم بنفسه وهو القذى فى كل طرف لاحظ

يلاحظ أيضا ان أغلبية الكتاب يسوقون لصور إنتصاراتهم بأسلوب غريب:

يقول البغدادي:

ناظرت بعض هذه الطائفة بالرى فقلت له ....اخبرني الجواب فسكت خجلا والحمد الله على ذلك[83]

قال عبد القاهر ناظرت بعضهم في هذه المسألة فقلت له ...فالتزم ذلك[84].

قال عبد القاهر ناظرت ابن مهاجر هذا في مجلس ناصر الدولة في هذه المسألة ألزمته فيها فالتزم ذلك [85]

الحكم الشامل غير قابل للطعن في أفضلية عقيدة المؤلف كما هندسها و شيوخه:

ألمنا ببعض آثار أهل السنة في شتى العلوم، بحيث يظهر من ذلك أنهم لا يلحقون في هذا المضمار، ومؤلفاتهم في الدين والدنيا فخر خالد مدى الدهر للأمة

المحمدية، وأما آثارهم العمرانية في بلاد الإسلام فمشهور ماثلة أمام الباحثين، خالدة في بطون التواريخ بحيث لا يلح[86].

التصنيف المغرض:

يقول كل مؤلف للفرق أن منهجه موضوعي ولا يرجو منه إلا الحقيقة وأن دافعه لذلك إلتزامه الأخلاقي وإذا كان المؤلف هو خصم ويصفي حساباته من خلال التصنيف الذي يقدمه كقالب نهائي :

يقول الرازي في"اعتقادات فرق المسلمين و المشركين" أعترف الموافقون والمخالفون أنه لم يصنف احد من المتقدمين والمتأخرين مثل هذه المصنفات وأما المصنفات الأخر التي صنفناها في علم أخر فلم نذكرها هنا ومع هذا فإن الأعداء و الحساد لا يزالون يطعنون فينا وفي ديننا مع ما بذلنا من الجد و الاجتهاد في نصرة إعتقاد أهل السنة والجماعة ويعتقدون أني لست على مذهب أهل السنة والجماعة وقد علم العالمون انه ليس مذهبي ولا مذهب أسلافي إلا مذهب السنة والجماعة [87].

مصنفو الفرق كانوا خصما وحكما وعندما كانوا يحتمون بالسلطان اتخذت الآراء حقائق وغابت الحقيقة.

جاء في بحث للشيخ مصطفى عبد الرازق:

ولسنا نجد فيما نعرفه من المؤلفات الموضوعة في هذا الباب ذكرا للصوفية على وجه يشعر بأنها من أصول فرق الإسلام اللهم إلا ما ورد في كتاب الفهرست لابن النديم وفي كلام الغزالي

من المؤلفين في الفرق من سرد أقاويل الصوفية ومذاهبهم من غير أن يعدهم في أصول الفرق الإسلامية [88].

لم يكن الشيخ مصطفى عبد الرزاق وحيدا في احتجاجه بل النقد اليوم أكثر موضوعية بتوفر بعض المصادر والأهم المعطيات التي تفسر الاختيارات والمواقف.

كتاب الشهرستاني أيضا حظي بالاهتمام خصوصا وأن كتابه يشمل مباحث عن أديان غير الإسلام .

الشهرستاني اخذ على نفسه الالتزام بمنهج موضوعي حيث يقول:

لأصحاب المقالات طرقا في تعديد الفرق الإسلامية لا على قانون مستند إلى أصل ونص ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود فما وجدت مصنفين منهم متفقين على منهاج واحد في تعديد الفرق ...[89].

وأمام هذا الفراغ المنهجي الذي يعترف به الشهرستاني ويدعم ما قيل سابقا يتبني الشهرستاني منهجا يقول عنه:

وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم دون أن أبين صحيحه من فاسده وأعين حقه من باطله وان كان لا يخفي على الأفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل .[90]

السؤال الذي يطرح هنا هل توفرت للشهرستاني كل مصادر المذاهب؟

بعض الإجابة موجودة في بعض الدراسات حول مصادر معلومات الشهرستاني والتي تؤكد أن شرطه على نفسه لم يتحقق في حالات كثيرة والمثال التالي دليل على ذلك:

الشيخ جعفر السبحاني يقدم عينة من إفتراءات الشهرستاني على الشيعة:

يعترف السبحاني أولا بالشهرة الكبيرة لكتاب الشهرستاني ولذلك خطورة ما يعده السبحاني نشرا لافتراءات عن الشيعة والتي يحددها[91] في:

– ينسب اليهم مثلا ما يقوله: أن من خصائص الشيعة القول بالتناسخ والحلول والتشبيه.

:الإمام الهادي عاشر الأئمة الإثني عشر توفي بقم.

: الهشام بن الحكم كان يقول :أن لله جسما ذا أبعاض في سبعة أشبار

: وان عليا اله واجب الطاعة .[92]

يوثق السبحاني هذه الأقوال الموجودة فعلا في كتاب الشهرستاني ويضيف:

هو (الشهرستاني) في هذا الافتعال تبع عبد القاهر البغدادي في "الفرق بين الفرق" والشيخ الأشعري في مقالات الإسلاميين والأخير هو الأساس لأكثر من كتب في الملل والنحل [93].

يوثق السبحاني نقوله ويبين رفض كتب الشيعة لما نقله أعمدة التأليف في الفرق من السنة ويضيف:

وأعجب من ذلك انه يختلق للشيعة فرقا لم تسمع بها وإنما توجد في كتب أعدائهم [94].

لم يكن الشيعة وحدهم من نبه إلى ارتباك مصادر الشهرستاني رغم تصريحه بأنه يملك تلك المصادر الخاصة بمختلف الفرق و هو أمر متعسر آنذاك خصوصا في ظل الصراع المذهبي الذي تحمي وطيسه السياسة وتعذر ذلك بالنسبة للأديان الأخرى لأنها لا تعرض مصادرها المترجمة على قارعة الطريق خصوصا بالنسبة للديانات غير الدعوية.

لاحظ بعض الدارسين[95] وبعد تتبع دقيق لكتاب الشهرستاني أن هناك طرقا ثلاثة في تناول مصادر الآراء و المقالات عند الشهرستاني:

1– معظم الآراء و المقالات التي ذكرها المؤلف لم يشر إلى مصدره فيها.

2- حالة التصريح بمن نقل عنه فيحكي الرأي أو المقالة معزوه إلى مصدره فيها و هو في هذا إما أن يصرح باسم الشخص وكتابه وإما أن يقتصر على ذكر اسم الشخص فقط دون تحديد موضع ذلك النقل وهذه الصورة أكثر استعمالا لديه من الصورة الأخرى .

3- حكاية الأقوال والآراء بصيغة البناء للمجهول – صيغة التمريض- نحو حكي يحكي وغيرها وقد أكثر من هذه الحالة في عدة طوائف [96].

موضوعيا يخلص الباحث السني إلى نفس نتيجة السبحاني الشيعي حيث يقول محمد بن ناصر:

تبين أن الشهرستاني لا يذكر مصادره في معظم ما حكاه في كتابه وإنما في مواضع محدودة وبالنظر لما صرح به المؤلف من مصادر فهي تعد مصادر قليلة و يسيرة بالنظر إلى ما تقتضيه مادة الكتاب من مصادر[97].

الشهرستاني لم يعتمد في كثير مما ذكره على مصادر الطائفة نفسها وإنما نقل عن غيرهم بل من خصومهم أيضا ولم يلتزم في بعض الفرق بما ألزم نفسه به من الحديث عن الفرقة على موجب مصطلحاتها و هذا إخلال ظاهر.

عدم الرجوع إلى المصادر الأصلية لكل فرقة ليس خاصا بالمؤلف وحده بل معظم مصنفي المقالات شاهم ذلك حيث يعتمد المتأخر منهم على ما ذكره المتقدم وينقل عنه وقد كانت مصنفات المعتزلة في المقالات مصدرا لما يذكره الأشعري والشهرستاني من بعده وغيرهما في كتبهم.

يمكن ملاحظة أن بعض علماء الكلام كتبهم موجودة ولكن السؤال الملحق هو هل في كتبهم تلك نسقا منسجما وبعضها ينقض بعضا وآخرها ينسخ أولها شكلا

ومضمونا وهل يمكن فعلا رسم خط بياني للمسار الفكري لآباء علم الكلام نخرج بعده بحوصلة متوازنة وموضوعية ومنطقية.

الملاحظ ارتباك حتى في منهج التصنيف الموضوعي وأحيانا إعادة توزيع الشخصيات على القوالب كتبرئة بعض الأشاعرة من منهجهم وإلحاقهم بالسلفية بل وتبرئة الأشعري من بعض ما نسب إليه ويصدم المدرسة السلفية.

وفي طيات الكتب و المواقع النشيطة نلمح غبار معركة تحديد من هم فعلا الممثلون الوحيدون والشرعيون لمبدأ السنة والجماعة. و نقرأ ما يصل إلى ما يتم تناقله كحقيقة تاريخية مثل:"ثناء الدار قطني على الباقلاني كان سبباً في انتشار المذهب الأشعري في الحجاز والمغرب".

و" شهود *العلماء* والأئمة للأشعري بالرجوع التام إلى *مذهب* السلف".

وإذا كان الغرض اليوم إعادة تشكيل البناء العقدي دافعا لبعض فصول هذه المعركة فان التأرجح بين المذاهب ظاهرة ذكرها المدققون فعلي سامي النشار لاحظ:

عن واصل بن عطاء المعتزلي وقضية المنزلة بين المنزلتن ويبدو أن واصل بن عطاء أراد برأيه المتوسط أن يوفق بين مختلف المذاهب ... إن واصل بن عطاء أراد أن يتوسط النزاع ولكننا نراه وهذا ما لاحظه البغدادي والاسفراييني بحق يعود إلى رأي الخوارج يعود في المعنى إليهم والمعتزلة بعد واصل تمسكوا بهذا القول و لهذا سموا بمخانيث الخوارج[98].

النهاية الحتمية للإجتهاد الكلامي التقليدي؟؟؟؟؟

يكتشف ويركب ويخترع الإنسان أدوية وأساليب علاج لأمراض تهدد الإنسان ويطورها وفق خصائص وتقدم المرض أو استفحاله ويصل العقل الإنساني بما زوده

الخالق من إمكانيات إلى تركيب أدوية تقضي على بعض الأمراض تماما الم يأت في الأثر انه لكل داء دواء.

وإذا كان علم الكلام هو الدواء الاضطراري لأمراض أصابت العقائد كما يصر أصحابه فنهايته حتمية بانتهاء المرض لكن الشك والريبة والفتنة في الدين من الأمور التي لا تزول في حياة الإنسانية والإنسان يحتاج دائما لاطمئنان قلبه كما يقول أبو الأنبياء لكن مبدأ التداوي ومبدأ العلاج ومبدأ البحث عن الأدوية والعلاج والوقاية أيضا لا يعني الاحتفاظ بنفس الوصفات الطبية أو نفس التركيبات للأدوية و لا حتى طرق العلاج من يرفض اليوم نصيحة إمام لمسلم مرتبك الإيمان بان يستعين بمحلل نفسي أو عالم أعصاب؟؟

وفكرة النهاية موجودة أيضا عند ابن خلدون مقدمته:

علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم إذ الملاحدة والمبتدعة قد انقرضوا والأئمة من أهل السنة كفونا شانهم فيما كتبوا ودونوا[99].

انقراض المبتدعة الملاحدة ضد سنة الحياة وضد الاعتراف بنقص العقل البشري أعراض أمراض الروح خبرها العلماء أنفسهم كأبي حامد الغزالي والأشعري وغيرهما.

وإذا كان موضوع علم الكلام هو الله والعالم والإنسان وكانت هذه الأمور تخضع في رأي المتكلمين لنمط المعرفة اليقينية واعتقدوا أنهم فعلا كشفوا عن حقائقها فأي حيوية تبقى لهذا العلم بعد انجازه مهمته خصوصا عندما نستحضر الوثوقية واحتكار المعرفة التي يحصن بها علماء الكلام كتبهم فنهاية علم الكلام بهذه الطريقة كانت على يدي حراسه:

لما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العالم من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل والوقوف على مصادرها ومواردها واقتناص اوانسها وشواردها أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما تدين به المتدينون و انتحله المنتحلون [100].

الأسئلة اليوم حول علم الكلام من المختصين عميقة وشاملة تريد الاستفادة من مسالك علماء الكلام باعتبارها اجتهادات وليس يقينيات وليس نهايات لا من حيث المضامين ولا من حيث المناهج.

يقول فهمي جدعان:

ما الذي مثله "علم الكلام" الإسلامي التقليدي في حياه المسلمين العقلية والمادية وما هو الدور الذي أمكن لمبدأ التوحيد منه أن يقوم به في عالم الإسلام المعنوي والمشخص و هل احتفظ هذا العلم في الأزمنة الحديثة بالوظيفة نفسها و الفعالية نفسها التي كان يمارسها[101].

ويضيف:

لا نجد متكلما واحدا يتوجه إلى وعينا الشامل ليبين لنا النتائج الحية التي تترب على مبدأ الوحدانية ...للمؤمن في حياته اليومية أو الزمنية المشخصة فهو أمر مهمل تماما [102].

وفي حوصلة توجه الاهتمام إلى النتائج العكسية لعلم الكلام كما دافع عنه أصحابه:

الطابع الجدلي القوي لعلم الكلام قد فتح المجال لبدع مختلفة انتهت إلى تشويه الصورة الخالصة لمبدأ التوحيد نفسه[103].

تراكم القراءات للتراث الكلامي هو اعتراف بمكانته و أهميته لكنها أيضا دليل على اعتباره جزء من أزمة الإنسان المسلم الروحية والعقلية.

علم الكلام الجديد:

الأسباب التي أدت إلى نشأة علم الكلام في معانيها العامة هي نفسها التي تدفع نحو التفكير في علم كلام جديد أو شكل جديد ومباحث جديدة لعلم الكلام. من التحديات :

– نسبية المعرفة الدينية.

– اعتماد بعض مباحث العلوم الدينية على العلم العام كبعض الأمور الفقهية وتفسير القرآن والسنة الخاصة ببعض المباحث الطبية والاقتصادية والظواهر الفلكية والطبيعية وغيرها.وبعض الأمور الخاصة بعلم النفس والأعصاب في تحديد المرتد عن المريض النفسي مثلا كما اتضح من مشكل فني أن وسائل التركيب التصويري أدخلت الأطفال قي متاهات جديدة و أسئلة غير منتظرة عن الذات الاهية وغيرها من الغيبيات.

– التعددية الدينية و قد عرفت الأمة الإسلامية مظاهر أخطر في تحريم التعامل بين المختلفين فقهيا مثل هل يرث الشافعي الحنبلي وهل يجوز زواج الحنفية من المالكي إضافة إلى حالات التكفير المتبادل بين العلماء.واليوم يعيش الكثير من المسلمين في مجتمعات علمانية و غير إسلامية و يتمسكون بالعيش فيها سواءا وهم يعتبرونها دار حرب أو دار عهد أو دار دعوة و لكل حالة فقهاء ينظرون لها.إضافة إلى وجود قضايا كبرى يتعاون فيها المسلمون مع غيرهم مما يستدعي التعامل أيضا مع تنوعات في الخلفية الدينية و استثمار المشترك الواضح.

– أثر الواقع المباشر عل الاختيارات "الكلامية " وقد نجد أسئلة ملحة من الشباب المسلم الذي يطلع على النقاشات الدينية المتحررة من أي سقوف والتي يدخلها بعض المسلمين الشباب ليس من باب حب الاستطلاع بل أحيانا من باب المساهمة في نشر

الإسلام و تصحيح الصورة المتداولة عنه: وقد نقل أحدهم سؤال أرقه بعد جدل علمي مع شاب يبحث عن أسئلة مميتة وهو:كيف يرضى الله ويسمح بأن يتعرض طفل صغير للاغتصاب من والده لسنوات طويلة و لماذا لم يسمع مناجاته لإنقاذه من مخالب وحش لايعترف لله بوجود أو قوة ؟؟

ومن الملاحظات المذكورة هنا والتي تحتاج إلى تأني من المرددين للأجوبة الجاهزة التي نشأت في بيئة مختلفة على كل الأصعدة؟ وهي إذا كان ركاب سفينة قد نجوا من الغرق ببركة دعائهم فكم من سفينة غرقت وألسنة ركابها بأطفالهم تلهج بذكر الله ؟

الاعتراف المسبق بأن هناك مساحة غيبية عنوانها" لا يسأل "من الصعب على العقل البشري فك رموزها.

مشاريع موجودة في العالم الإسلامي لاقتراح بديل لعلم الكلام القديم بتجديده شكلا أو مضمونا أو كلاهما كما توجد مشاريع تبني أسسها على مقتضيات الواقع الحالي وتبحث عن هندسة لهذا العلم بعيدا عن التراث أو بقرائته من جديد.

تخريج الحديث

م	طرف الحديث	الصحابي	اسم الكتاب	أفق	العزو	المصنف	سنة الوفاة
1	لكل داء دواء فإذا أصبت دواء الداء برأ بإذن الله تعالى	جابر بن عبد الله	مسند أحمد بن حنبل	14302	14187	أحمد بن حنبل	241
2	لكل داء دواء فإذا أطيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل	جابر بن عبد الله	أمالي الجرجاني	427	---	محمد بن إبراهيم بن جعفر الجرجاني	330

3	تداووا فإذا أصيب الدواء برأ بإذن الله عز وجل	جابر بن عبد الله	ذيل تاريخ بغداد لابن النجار	106	---	ابن النجار	643
4	لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل	جابر بن عبد الله	صحيح مسلم	4091	2206	مسلم بن الحجاج	261
5	لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله	جابر بن عبد الله	السنن الكبرى للنسائي	7270	7514	النسائي	303
6	لكل داء دواء فإذا أصيب يعني دواء الداء برأ بإذن الله	جابر بن عبد الله	مسند أبي يعلى الموصلي	2009	2036	أبو يعلى الموصلي	307
7	لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله	جابر بن عبد الله	شرح معاني الآثار للطحاوي	4736	4745	الطحاوي	321
8	لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله	جابر بن عبد الله	إتحاف المهرة	3292	---	ابن حجر العسقلاني	852
9	لكل داء جعل الله دواء فإذا أصاب الداء دواؤه برئ بإذن الله	جابر بن عبد الله	مسند أبي حنيفة لابن يعقوب	47	---	عبد الله بن محمد بن يعقوب بن البخاري	340
10	لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل	جابر بن عبد الله	معجم الشيوخ لتاج الدين السبكي	303	---	السبكي	771

11	إن لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله	جابر بن عبد الله	صحيح ابن حبان	6197	6063	أبو حاتم بن حبان	354
12	لكل داء دواء وإذا أصيب دواؤها برئ بإذن الله	جابر بن عبد الله	الكامل في ضعفاء الرجال	3012	4 : 77	أبو أحمد بن عدي الجرجاني	365
13	لكل داء دواء فإذا أصاب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل	جابر بن عبد الله	التوحيد لابن منده	109	110	محمد بن إسحاق بن منده	395
14	لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله عز وجل	جابر بن عبد الله	معرفة علوم الحديث للحاكم	53	1:34	الحاكم النيسابوري	405
15	لكل داء دواء فإن أصاب الداء الدواء برئ بإذن الله عز وجل	جابر بن عبد الله	المستدرك على الصحيحين	7515	4:199	الحاكم النيسابوري	405
16	لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل	جابر بن عبد الله	المستدرك على الصحيحين	8301	4:401	الحاكم النيسابوري	405
17	لكل داء جعل الله تعالى دواء فإذا أصاب الداء دواء برئ بإذن الله تعالى	جابر بن عبد الله	مسند أبي حنيفة رواية الحصكفي	431	3	أبو حنيفة	150
18	لكل داء دواء فإذا	جابر بن	المجالس العشرة	66	72	الحسن بن	439

	أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل	عبد الله	للخلال			محمد الخلال	
19	لكل داء دواء فإذا أصاب الدواء الداء برأ بإذن الله	جابر بن عبد الله	السنن الصغير للبيهقي	1751	4285	البيهقي	458
20	لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله عز وجل	جابر بن عبد الله	السنن الكبرى للبيهقي	18007	9:343	البيهقي	458
21	الله لم ينزل داء إلا وقد أنزل له دواء	جابر بن عبد الله	تاريخ بغداد للخطيب البغدادي	4798	16:506	الخطيب البغدادي	463
22	ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء أو شفاء	جابر بن عبد الله	التمهيد لابن عبد البر	862	5:284	ابن عبد البر القرطبي	463
23	لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء أبرأه بإذن الله عز وجل	جابر بن عبد الله	طرح التثريب للعراقي	1415	7 : 2227	أبو زرعة العراقي	806

علم الكلام في المنظومة المسيحية

– اللاهوت حسب معجم الايمان المسيحي المصدر كنيسة الاسكندرية الكاثوليكية

على حسب كتاب«معجم الإيمان المسيحي» هو علم المسائل الدينيّة، وهو يقوم أساسًا على النصوص المقدّسة والعقائد والتقليد، بحث لاهوتيّ يتناول جانبًا معيّنًا من جوانب العقيدة أو الأخلاق.

الكتاب المقدّس يُعتبر أساس الخطاب اللاهوتيّ. ولكن البناء اللاهوتيّ المرتكز على الكتاب المقدّس يتغذّي من خبرة الكنيسة في مسيرتها في العالم.

فروع علم اللاهوت:

1- اللاهوت الكتابي

2- لاهوت الثالوث الأوحد:

3- اللاهوت الأسراري:

4- اللاهوت البولسيّ:

5- اللاهوت اليوحنّاوي:

6- اللاهوت الأساسي أو الدفاعي: هو نتيجة المعارك مع عالم الفكر غير المسيحي، وهو كان دفاعاً موجهًا ضدّ الوثنية واليهودية والغنوصية والمانية، وهو يدرس مسائل كيانيّة وجودية عن إمكانية معرفة الوحيّ(أسباب الإيمان، الاستعداد للإيمان، مقدمات الإيمان، الأعجوبة، النبوّة، الطبيعة، إمكانية الوحي وإمكانية معرفته؛ أشكال هذا الوحي الممكنة؛ الوحي المتجسد في يسوع المسيح؛ هيكليته التاريخيّة؛ براهينه التاريخية).

7- لاهوت الاستنتاجات: وهو يفتش عن فهم الحقائق الموحاة وفهم الإيمان الحالي، بأن يستخلص منها بعض الاستنتاجات بواسطة قواعد التفكير المنطقية، حتى نفهم الإيمان فهمًا أسمى في إيضاح وحدة الوحي الداخلية بصورة أعمق.

8- اللاهوت الأدبيّ:

9- اللاهوت الإيجابيّ:

10- لاهوت التاريخ:

11- لاهوت الجدل: تفكير لاهوتي منهجي ومنظّم على عقائد الجماعات المسيحية غير الكاثوليكية.

12- اللاهوت الجدليّ: نشا بعد سنة 1918 في اللاهوت البروتستانتي وسمحت بتجاوز اللاهوت الليبرالي

13-اللاهوت الليبرالي: له طابع عقلاني ويرفض الإيمان الموحى ولا يحتفظ إلاّ بدين العقل الطبيعي.

14- لاهوت النعمة:

15- اللاهوت الطبيعي:

16- اللاهوت للعلمانيين:

أن يُدرس اللاهوت ويُعرض للعلمانيين، وهو كأساس للتفكير على الذات.

17-لاهوت الكرازة:

18- اللاهوت المدرسي:

19- اللاهوت الرعوي:

20-اللاهوت الشكلي والأساسي:هو الذي يجرّب أن يضع في مفاهيم مختلفة هيكليات تاريخ الخلاص الأساسية الشكلية والدائمة(الصلة الجوهرية بين الله والخليقة؛ فكرة وحي شخصي بالكلام، والأعمال؛ فكرة وحي خلاصي).

21- اللاهوت الطقسي.

الهوامش

1 – محمد بو هلال ، إسلام المتكلمين ،(ط:1،بيروت ، رابطة العقلانيين العرب و دار الطليعة ، 2006)،هامش ص:7 .

2 و3- نفس المرجع ،ص:8 .

4- نفس المرجع ، ص:9

5- علي الشابي ،مباحث في علم الكلام و الفلسفة (ط:2، بيروت ،دار المدار الإسلامي،2002)،ص:18

6- علي سامي النشار، الفكر الفلسفي في الإسلام (ط:9،القاهرة ،دار المعارف)،ج1 ،ص48 .

7-عبد الرحمان ابن خلدون ،المقدمة ،حققها و قدم لها عبد السلام الشدادي (الدار البيضاء،بيت الفنون والعلوم الدار ،2005)ج3،ص: 23 .

8- أبو حامد الغزالي ،الاقتصاد في الاعتقاد، تحقيق موفق فوزي الجبر(ط1:،بيروت، دار الحكمة ، 1541 هـ/1994)ص :

9- انظر أحمد شلبي ، أديان الهند(ط:11 ،القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ،2000).

10- أبو حامد الغزالي ،الاقتصاد في الاعتقاد، ص: 33

11- عضد الدين الإيجي ،المواقف في علم الكلام (بيروت ،عالم الكتب ،)ص:7 .

12- أبو الفتح الشهرستاني، الملل و النحل ،تحقيق أبو محمد محمد بن فريد(القاهرة، المكتبة التوفيقية)، ج1، ص:62و ص:63

13- سعد الدين التفتازاني، شرح العقائد النسفية ، تحقيق احمد حجازي السقا(القاهرة،مكتبة الكليات الأزهرية ،1988/1408)ص: 12 .

14- المصدر نفسه ص:13

15- محمد بو هلال ، إسلام المتكلمين سلام المتكلمين ،ص:23

16- أبو الفتح الشهرستاني، الملل و النحل ، ج1،ص:10 .

17- ابن تيمية ، الفتاوي 33/12 و عبد الرحمان صالح المحمود ، موقف ابن تيمية من الشاعرة (ط:1،الرياض ،مكتبة الرشد، 115ه/1995)

18- فخر الدين الرازي ،أساس التقديس، تحقيق احمد حجازي السقا (القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية،2001)، ص: 10

19- المعني هو الحاكم صالح الدين الأيوبي

20- فخر الدين الرازي ،اعتقاد ات فريق المسلمين و المشركين، تحقيق علي سامي النشار ،مع بحث في الصوفية للشيخ مصطفى عبدالرازق (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية،1938/1356) ص:20

21- المصدر نفسه ،ص:25 .

22- أبو حامد الغزالي ،إلجام العوام في علم الكلام)ص: 12

23- ن المصدر نفسه،ص:22 .

24- تعريف جليل الكلام

25 و26- محمد باسل الطائي، نقد ابن رشد لمذهب الذرية عند المتكلمين ،دراسة منشورة في :

Etude d'Ecole ,Vol .23/24,49-90 ,paris , 2005

و نسخة من الدراسة موجودة في الموقع الرسمي للباحث

27- محمود إسماعيل ،سوسيولوجية الفكر الإسلامي الإسلامي، طور الازدهار (ط:1 ،لندن، بيروت ،القاهرة ،دار سيناء و دار الانتشار العربي)،2000)ص:10

28- محمد بو هلال ، إسلام المتكلمين ،ص:11 و ص:12

29- انظر مثلا محاضرات المستشرق برجشتراسر لقسم الماجستير قسم اللغة العربية جامعة القاهرة عام 1931 طبعت في كتاب: أصول نقد النصوص و نشر الكتب .

و انظر اعتراف ارنست رينان بعلم الكلام كمنتوج فلسفي إسلامي

30- أبو الفتح الشهرستاني ،نهاية الإقدام في علم الكلام ،حرره و صححه الفرد جيوم(

31- المصدر نفسه، ص:504

32- هناك اليوم دراسات تراجع تحقيقها لكتاب الإبانة للأشعري .

33- أبو الفتح الشهرستاني، الملل و النحل ، ص:31

34- محمد الغزالي ،عقيدة المسلم (ط:1،طبعة مراجعة و منقحة،القاهرة ،دار نهضة مصر، 2005).ص:3

35- المرجع نفسه ،ص: 5

36- أبو الفتح الشهرستاني، الملل و النحل ، ص:37

37- فخر الدين الرازي ،أساس التقديس، ساس التقديس المتشابهات

38- محمد إقبال، تجديد التفكير ،ترجمة عباس محمود (ط:2 ،القاهرة ،دار الهداية،1421هـ - 2000).ص:

39- محمد إقبال، تجديد التفكير ، ص: 11

40- المصدر نفسه،12

41- المصدر نفسه،ص: 13

42- المصدر نفسه، ص: 13 و ص: 14

43- المصدر نفسه، ص: 14

44- ابن قدامة المقدسي،تجريم النظر المقدسي

45- إلجام العوام الباب الأول

46- المصدر نفسه

47- سعد الدين التفتازاني، شرح العقائد

48- ا أبو الفتح الشهرستاني، الملل و النحل ،ص:105

49- ا أبو الفتح الشهرستاني، الملل و النحل ، ص: 116

50- عبد العزيز راجل المقدمة

51- عبد الجواد ياسين، السلطة في الإسلام ،المركز الثقافي العربي (ط:2 ،الدار البيضاء، بيروت ،2000)،ص:

52- سرمد الطائي،نظرية القبض و البسط النظري في الشريعة (مجلة قضايا إسلامية العدد 18 /2002

53- كتاب القبض و البسط يقول المتخصصون أن ترجمته العربية ناقصة بعض المباحث التي رفض نشرها بين الناطقين بالعربية .

الكتب المتوفرة اليوم لا تعبر عن آرائه و موقعه الرسمي لا ينشر المواد باللغة العربية و يكتفي باللغة الفارسية و الانجليزية و مطالعة النقاشات حول آرائه يبدو أن بعضها لا ينشر إلا بالفارسية .

54- سعد الدين التفتازاني ،شرح العقائد النسفية ،تحقيق احمد حجازي السقا،(القاهرة،مكتبة الكليات الأزهرية ،1408ه-1988م)، ص:13

55- حسن حنفي ،من العقيدة و الثورة المقدمات النظرية(ط:1: بيروت ،الرباط، ،دار التنوير ،المركز الثقافي العربي الرباط، 1988)،ص:71

56- المصدر نفسه ص: 84

57- محمد الغزالي ،عقيدة المسلم ،ص: 4

58- المصدر نفسه،ص:175

59- المصدر نفسه،ص:177

60- عبد القاهر البغدادي ،الفرق بين الفرق،اعتناء، ابراهيم رمضان (بيروت ،دار المعرفة ،2003)، ص: 23

61- عبد الجبار الرفاعي ،علم الكلام الجديد و فلسفة الدين(ط1: بيروت، دار الهادي،2000)ص :25

62- عبد المجيد النجار ،فقه التدين(الدوحة،دار الأمة)

63- عبد المجيد النجار ،تجربة التغيير في حركة المهدي بن تومرت(تونس 1404،ه/1984)

64- محمد الغزالي ،عقيدة المسلم، ص: 31

65- عباس محمد سليمان، الصلة بين علم الكلام و الفلسفة في الفكر الإسلامي (القاهرة ، دار المعرفة الجامعية، 1988) ص:12 .

66- أبو حامد الغزالي ،الاقتصاد في الاعتقاد،ص :6

67- المصدر نفسه ،ص:73

68- عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق

69- المصدر نفسه ،ص: 7

70- المصدر نفسه ،ص: 18

71و72- المصدر نفسه ،ص: 212

73- المصدر نفسه ،ص: ص79

74- المصدر نفسه ،ص: ص115

75- المصدر نفسه ،ص: ص 118

76- المصدر نفسه ،ص: ص128

77- المصدر نفسه ،ص: ص137

78- المصدر نفسه ،ص: 78ص143

79- المصدر نفسه ،ص: ص157

80- المصدر نفسه ،ص: ص162

81- المصدر نفسه ،ص: ص164

82- المصدر نفسه ،ص: ص166 و ص167

83- المصدر نفسه ،ص: ص194

84- المصدر نفسه ،ص: ص201

85- المصدر نفسه ،ص: ص206

86- المصدر نفسه ،ص: ص324

87- فخر الدين الرازي ،اعتقاد ات فريق المسلمين ،ص: 10

88- ابو الوليد ابن رشد ،مناهج الأدلة في عقائد الملة ،تحقيق محمود قاسم ، مع مقدمة ،مصطفى عبد الرازق ،محاضرة في ملتقى الأديان ألمانيا ،(ط2، القاهرة ،مكتبة الانجلومصرية،1964)المقدمة

89- أبو الفتح الشهرستاني، الملل و النحل ،ج1 ص :22 و ص:23

90- المصدر نفسه ص:22

91- جعفر السبحاني ، الملل و النحل :المذاهب الإسلامية ،موقع مؤسسة الإمام الصادق

92- المرجع نفسه، ص:12 و ص :13

93- المرجع نفسه، ص : 13

94- المرجع نفسه، ص : 14

95- محمد بن ناصر السحيباني،منهج الشهرستاني في كتابه الملل و النحل (الرياض ،دار الوطن)

96- المرجع نفسه ،ص:234

97- المرجع نفسه ،ص: 235

98- علي سامي النشار، الفكر الفلسفي في الإسلام ،ص:390و ص:391

99- عبد الرحمان ابن خلدون ،المقدمة، ص:36

100- أبو الفتح الشهرستاني، الملل و النحل، ص: 28

101- جدعان فهمي : أسس التقدم عند مفكري الإسلام (ط3،عمان ، دار الشروق، 1988،ص: 191

102- المرجع نفسه ، ص:192

103- المرجع نفسه ،ص: 193